صاحبها ورئيس تحريرها
مدحة عكاش
MADHAT AKKACHE

الثقافة
مجلة ثقافية أدبية شهرية
دمشق ص . ب (٢٥٧٠) هاتف ١٦٢٩١

العدد الثالث
(تموز) ١٩٥٨
السنة الاولى

الحقيقة .. الحقيقة المرة

بقلم
سعد صائب

كلما احتدمت في عاطفة الغضب واضطرمت . كظمها قول لفالري ما زلت احفظه واردده :

تمهل ، تمهل
أناة في الفكر
كل ذرة من صمت
تحمل امكانية ثمرة ناضجة . .

وكما يظل « الكظم » حياً في الوجدان لا يموت ، لأنه مشدود الى « المناسبة » ليعود معها ويتخلص منها - كما يقول علماء النفس - كذلك رأيتني انساق اليوم - على غير عادتي - في تيار عاطفي ، لأكشف عن هذا « الكظم » واتخلص منه . . . ولعل خاصية هذا الاحتدام الذي احياه اليوم وانفعل به ، هي ما يثيره موقف المسؤولين حيال ادبائنا ومفكرينا وفنانينا ، وضعف استجابتهم لانتاجهم . . ولعل هذه الخاصية ايضاً هي ما يصدر عن المسؤولين بالذات ، من لامبالاة بما يشقي أغلب الادباء والمفكرين والفنانين في حياتهم ، وما تفور به هـذه الحياة ، من شظف العيش وبؤسه ، حتى انهم ليكادون يكفرون بمواهبهم ، ويصدون عن نشاطهم الذهني والفني . . يضطرهم الى هذا الكفر ، وهذا الصدود كفاحهم المرير من اجل الحيـاة ، ونضالهم الدائب من اجل حقهم وحق ابنائهم فيها . . .

والسؤال الذي نطرحه ونبتغي الاجابة عليه : هل حدد المسؤولون موقفهم الصريح من ادبائنا ومفـكرينا وفنانينا بخاصة ، ومن ادبنا وفكرنا وفننا الوليد بعامة ؟؟

ان الاهمال الذي يلقونه في اقليمنا الشمالي من جمهوريتنا الحبيبة ، ليهيب بهم أن يتساءلوا ويلحفوا في التساؤل . .

اين الالتفاتة البارعة من المسؤولين الى ما ييسر العيش الكريم لهم ، ويجنبهم البؤس والعوز والفاقة ؟ وهم الذين ضحوا وما انفكوا يضحون من اجل تقدم امتنا ورقيها ، وهم الذين ناضلوا وما برحوا يناضلون من اجل تحررها ووحدتها ، وهم الذين كافحوا وما زالوا يكافحون من اجل توكيد القيم والمثل ، واشاعة الحق والخير والجمال

انهم ليتساءلون في حيرة وقلق : اين الدليل المادي أو المعنوي الذي يهدي خطاهم المتعثرة في الدروب الوعثاء ؟ اين الحرص والرعاية لأقلامهم وريشهم وازاميلهم ؟

ان ثمة جنوداً مجهولين من الادباء والمفكرين والفنانين ، يجوبون دروب الحياة الوعرة تملؤهم هواجسهم ، ويغمرهم شرودهم ، ويغرقهم المبهم المبهم من مستقبلهم ، دون ان يحظوا بحنو المسؤولين وحدبهم ورعايتهم . .

بالأمس القريب لاقى المثال المبدع « فتحي محمد » حتفه بائساً معدماً . . ومنذ ايام اقام له اصدقاؤه والمعجبون بفنه حفلة تأبينية في حلب ، تحية لذكراه ، واعترافاً منهم بنبوغه ، فهل ترانا نتعلل بالحفلة ، ونوهم انفسنا انها الحل الذي تتنازعه قلوبنا ، وتكاد تتمنى لو يظفر بها أحدنا بعد موته « ليتحدد بها خلوده ، ويتعين موقف المعجبين به ؟ ثم ما الاثر الطبيعي الذي يحدثه مثل هذا الحل الذي يقف عند حد « التحية » ولا يعدوها ؟ وان فقد اديب او مفكر او فنان كاف ليجعلنا نستشعر مسؤوليتنا حيال ادبائنا ومفـكرينا وفنانينا ، الذين يوفرون لنا المستقبل الادبي والفكري والفني ، الذي تتطلع اليه امتنا في مرحلة الانتقال التي تجوزها ، وهو حافز ايضاً لتجنب الاخطاء التي تصدر عنا حيال موقفنا منهم .

وليس من شك في ان امتحان الوسائل الممكنة لتقديرهم في حياتهم ، هو في تعميق استجاباتنا لما وفروه ويوفرونه لنا من خصوبة ادبية وفكرية وفنية ، ولما نفثوه وينفثونه من

البقية على الصفحة « ٤ »

خواطر في شعرنا المعاصر

بقلم

الدكتور أحمد مطر البلسي

تطور الشعر العربي خلال السنوات العشرين الاخيرة، وبخاصة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، تطوراً عنيفاً وعميقاً لم يعرف له تاريخ الشعر العربي في مختلف عصوره مثيلاً. فكل ماطرأ على هذا الشعر من تطور محسوس في العصور العباسية، وكل ماعرفه من تنويع وتلوين في الاوزان والقوافي والمعاني ولاسيما في الاندلس، كل هذه التغيرات قد لا تعد شيئاً كبيراً اذا قيست بهذا التبدل الجذري الذي عرفته المفاهيم الشعرية عندنا خلال الفترة التي نحياها.

ولست ازعم ان تطور شعرنا اليوم عظيم وخطير اذا قيس بشعرنا القديم وحده، فان مثل هذا التطور على مدى الزمن طبيعي ومنطقي وضروري، وحيث لا يكون مثل هذا التطور يكون الجمود والموت. ولكن تطور شعرنا اليوم يبدو عظيماً وخطيراً اذا قيس بما كانت عليه المفاهيم والمثل الشعرية قبل ثلاثين سنة فقط، عندما كان شعر شوقي وحافظ وكثير من اندادهما الذين مايزالون على قيد الحياة يمثل غاية مايمكن ان ينزع اليه التجديد المعاصر. وهي فترة قصيرة وقصيرة جداً، اذا قيست بالمكتسبات الفنية الخصبة التي احرزها خلالها الشعر العربي.

ولا شك ان هنالك اسباباً دعت الشعر الى الافلات من اكثر قيوده ومفاهيمه السابقة وتحطيمها والثورة عليها، وهي الاسباب نفسها التي هزت الشعر العالمي كله وقلبت اسسه وقادته في اتجاهات كثيرة قد تكون متباينة ومتعادية فيما بينها، ولكنها كلها جديدة وثورية. اذ يجب ألا ننسى ان هذا الانقلاب الثوري – وهو اصح تعبير يمكن ان يطلق على الاوضاع الشعرية الراهنة – الذي ارعش معبد الشعر وعصف بهدوئه في هذه السنين الاخيرة لم يكن قاصراً على الشعر العربي، وانما هي رعشة عنيفة انسابت في كيان الشعر العالمي كله، ولم يكن للشعر العربي بد من ان ينجرف في هذا التيار طوعاً او كرها، لان سرعة العدوى هي الميزة التي تميز زمننا هذا الذي نعيش فيه. فلقد محيت الحدود نهائياً امام الاشعاع الفكري، وان الفكر اليوم – اكثر منه في كل زمن مضى – لايمكن ان يكون ضيقاً او محلياً، فهو اما يكون انسانياً او لا يكون. لقد طرأ على العالم في عصرنا تبدل كبير في المفاهيم الفلسفية والاقتصادية والسياسية والخلقية،

وكان هذا التبدل صحيحا تناول كل وجوه الحياة الانسانية ماديها ومعنويها فكيف يستطيع الفن ان يبقى بمعزل عن كل هذا التبدل وهو المرآة التي تنعكس عليها الحياة الانسانية في ادق خلجاتها؟ وكل مافي الامر ان الانقلاب في آداب كثير من الامم كان اسبق ظهوراً منه في الادب العربي، وان كثيراً من المذاهب والاتجاهات الجديدة في الشعر ظهرت عند الامم الاخرى قبل ان تبدو تباشيرها عندنا وما ذلك الا لأن صلتنا بالتيارات الفكرية التي تهز العالم هزاً لم تتوثق حق التوثق الا في اعقاب الحرب العالمية الثانية.

وأسارع الى القول بأنني لا اتوجس من هذا التجديد أدنى خيفة ولا أنصح أحداً ان يتخوف منه. فان كثيرين من الادباء وأساتذة الادب من أبناء جيلي وممن هم اكبر سناً يتبرمون بمعظم هذا الشعر الجديد الذي يملأ اليوم مختلف المجلات الادبية في دنيا العرب. فمنهم من لا يقوى على النظر اليه، ومنهم من يقرأ ثم تراه يحاول الا يفهم او يتأثر بجمال مايقرأ؛ وكل غايته ان يثبت لك ان هذه الاشعار أشبه مايكون بأقوال من اصيب بالصرع. ومنهم من يقرأ ويود لو يسيغ ما يقرأ، ولكنه لا يستطيع الى ذلك سبيلاً، لان له من طبيعة ثقافته ما يحجز بينه وبين هذه القيم الجديدة. اما انا فاني لاقرأ بنهم كل ما تطالعنا به الصحف والمجلات من شعر جديد، هزيلاً او اصيلاً، غثاً او سميناً. أقرأ كل ذلك واجمعه وأبوبه وأنا سعيد كل السعادة حين افعل ذلك، لانني اتبين من خلاله خفقات حياتنا الفنية التي هي خفقات حياتنا الحقيقية أقرأ كل ذلك وابارك كل خطوة تجديدية صحيحة، لان النزوع الى التجديد مرادف للحياة، ولان تاريخ الفن يعلم كل من يمارسه ان من العبث والسخف الوقوف بعناد في وجه النزعات التجديدية، كما ان العبث والسخف التهليل والتكبير لكل نزوة تجديدية دون التروي واعمال الفكر وتمييز التجديد الحق من الزيف والغثاثة والتفاهة والشعوذة. أقرأ كل ذلك وابار كه لان تاريخ الادب يعلم كل من يعيه انه مهما يكن رأي المعاصرين في الآثار الادبية المعاصرة فان الزمن وحده كفيل بالا يبقي منها الا على الاصلح.

هذا الانقلاب الثوري في شعرنا المعاصر له مظاهره الفنية والفكرية . ونقصد بالمظاهر الفنية ماله صلة بالعناصر الاساسية المقومة للشعر من الفاظ وتراكيب وصور وقواف واوزان وايقاعات . فهنالك الشعر المتحرر من كل القيود ، وهنالك الشعر الذي يعتمد (التفعيلة) اساساً موسيقياً ، فهو ينوع عدد هذه التفاعيل من سطر الى اخر تنويعاً يتفق مع انسياب المعاني وتوزع الالوان العاطفية ، فيغني بذلك في كثير من الاحيان طاقة القصيدة الموسيقية ؛ ثم هناك الاخراج الكتابي او الطباعي وتوزيع الاسطر وتعاقبها وجمعها على تقاطيع .... مما يطبع معظم الشعر المعاصر بطابع جديد يختلف عن طابع الشعر الذي سبقه من حيث أثره في العين ووقعه في السمع ونفوذه الى القلب والعقل . وأما المظاهر الفكرية فنقصد بها طغيان المبدأ الاساسي او الفكري الذي يعتنقه الشاعر على آثاره ، حتى انه قلما يسمح لنفسه بالافلات من هذا الاتجاه وبابداع آثار فنية حيادية لاصلة لها به . بل هو لو سمح لنفسه بذلك لما استطاع لان هذا المبدأ الذي يطغى على آثاره هو حياته ذاتها . ولاشك ان للفنان - والحال هذه - عذره اذا ذهب هذا المذهب في الالتزام . ولكن هذا الالتزام يتجاوز الحدود المعقولة ويصبح اسرافاً وهذراً حينما يتجاوز دائرة الابداع الفني الى دائرة النقد الادبي ذاته ، فنرى مثل هذا الطغيان الفكري يستبد بالنقاد انفسهم ، فلا يسيغون من الشعر الا ماقصد به الى منحىً فكري او سياسي معين ، بل يذهبون الى ابعد من هذا حين يذيعون ويمجدون كل ماقصد به الى هذا المنحى ، لافرق لديهم بين الغث والسمين ، مستصغرين كل مالم يوجه تلك الوجهة مهما تكن قيمته الفنية ، ناسين ان للنقد الفني احكامه ، وأن الشعر اذا ماخلا من القيم الفنية لايعد شعراً مهما يكن الاتجاه السياسي الذي يطمع بالتعبير عنه وبالتبشير به .

لقد اتيح لي قبل عامين ان أشهد حلقة الشعر الدولية التي عقدت في (بلجيكا) . وفي احدى الجلسات اشتد النزاع بين أنصار الالتزام وخصومه في الشعر ، وكثر المدافعون عن وجهتي النظر المتعارضتين وتعاقب الشعراء على المنبر يدافع كل عن رأيه . فنهض في وسط القاعة احد الشعراء الحاضرين ، وأظنه كان بلجيكياً ، وكان متقدماً في السن يجلل رأسه البياض ، وصاح بصوت متهدج : « أعطونا شعراً قبل كل شيء ، ثم التزموا ماشاء لكم الالتزام ! » .

هذه الثورة التجديدية التي أشرنا الى بعض مظاهرها في شعرنا جعلتنا نشهد اليوم نوعاً من الانفصال التام بين عقليتين او نزعتين لاتكن احداهما للاخرى كثيراً من الاحترام او التسامح : أولاهما هذه النزعة المندفعة في تجديدها والتي عرفت روعة الجديد ولذة الابتكار وسحر التيار الدفاق المتلاحم فانكرت كل مايخالف مذهبها ، وثانيتهما العقلية المحافظة التي مازالت تعيش على مجدها الغابر ولا تريد ان تعتقد ان مجداً فنياً آخر يمكن ان يقوم على الاسس التي بني عليها مجدها . سمعت مرة احد كبار شعراء المدرسة القديمة يقول : وقد القى نظرة على قصيدة حديثة لهجت بها الالسن اخيراً ، : « يسمون هذا شعراً ، فلعمري ماذا يسمون الشعر الذي نقوله اذاً ؟ » هذه العبارة تذكرني بما قاله احد اساتذتنا في الصوربون - وهو شارل لالو - وكان من فحول أساتذة علم الجمال ومتقدما في السن . كان هذا الاستاذ الجليل يعرض علينا بالفانوس في قاعة الدرس لوحات فنية يرينا من خلالها تطور مذاهب التصوير ، فكان يعلق على كل لوحة منها مبيناً خصائصها ودلالتها على المدرسة التي ينتمي اليها صاحبها . حتى اذا عرض علينا في احدى محاضراته بعض اللوحات السريالية وقف امامها حائراً لايدري بماذا يعلق .. ثم قال : « انهم يسمون هذا تصويراً ! » . ومن منا لايذكر ابن الاعرابي ، هذا الشيخ الجليل الذي عاصر أبا تمام فأنكر عليه نزعته التجديدية اشد الانكار ، حتى كان يصيح اذا عرض عليه في مجلسه بعض ماقاله هذا الشاعر : « ان كان هذا شعراً فكل ماقاله العرب باطل ! »

هذه العصبية تقابلها لدى الفريق المجدد عصبية ربما كانت أشد منها عنفاً . فقد سمعت مرة أحد الشعراء المجددين الشباب يزعم ان ليس في الادب العربي بيت واحد من الشعر يرجع الى ماقبل عشرين او ثلاثين عاماً ! وكأنه يريد بذلك ان يقول : ان تراثنا الشعري الغابر اصبح ملكاً للتاريخ وان نفوس اهل هذه الاجيال الصاعدة لن تجد فيه شيئاً من الغذاء الفني . ولعمري ان في مثل هذا الزعم من الاسراف والشطط والغلو اكثر مما في اقوال انصار القديم . فقد يكون للانسان عذره ، وقد نشأ على ثقافة معينة ، الا يستطيع التجاوب مع المذاهب الجديدة . ولكن أي عذر للأديب المعاصر او الناشىء في ان يجهل او يتجاهل المقومات الروحية الخصبة في أدب امته الغابر . ان الادب الذي يقهر العصور انما يقهرها لانه ادب قوي موفور

المقومات الفنية . ومثل هذا الادب لا عصر له لانه فوق العصور ، ولان المقومات الفنية الحقيقية خالدة بخلود القيم الانسانية المتصلة بها . وانكار المقومات الفنية في ادبنا القديم هو جهل او تجاهل ، وكلاهما شر .

* * *

وبعد ، فان على الشعراء المجددين ان يندفعوا في طريقهم الذي استوحوه من عصرهم وحياتهم ونبضات قلوبهم ، دون ان يلتفتوا الى الوراء او ان تأخذهم في اندفاعهم هذا لومة لائم ، ولكن عليهم ان يوقنوا ان التجديد الحق شيء والاستسلام الى السهولة والرخاوة شيء آخر ، وان الفن الجيد جيد جديداً كان او قديماً ، وانه مركب صعب ليس فيه مجال للاهمال او التسرع ، فعليهم ان يخلصوا لفنهم فلا تغرهم شهرة عابرة او القاب مغرية تغدقها عليهم بعض الصحف والمجلات المتكسبة ؛ فهي شهرة جوفاء هينة سرعان ماتنطفىء اذا لم يدعمها من قبل الشاعر الناشىء جهد متصل ومراقبة ذاتية حازمة ، وعليهم ايضاً ان يخلصوا لانفسهم فلا تغرهم الاسماء الضخمة التي تتحلى بها بعض المذاهب الادبية فيندفعوا في مجاهل التقليد دون ان يصدروا عن ذاتهم او يركنوا في اعماق انفسهم الى الاصالة التي هي قبل كل شيء سواها ينبوع كل ادب قوي. ثم ان عليهم الا يستهينوا بأدبهم القديم ، فالادب يتطور لانه ابن الحياة ، ولكن الادب الجميل القوي يحتفظ بجماله وقوته على رغم هذا التطور . وأصدق الشعراء تجديداً في كل امة هم اشدهم ارتواء من مناهل الآداب القديمة . وما اجدر شعراءنا الناشئين ان يتمرسوا بالنظم في القوالب القديمة بين فترة واخرى ، فان كثيراً من اسرار الصناعة تتسرب اليهم من هذا التمرس فتعينهم على التقدم بخطاً ثابتة في مضمار التجديد

ان على شعرائنا المجددين ان يقدموا لنا شعراً قبل كل شيء ، شعراً قوياً اصيلاً جميلا ، ثم لهم بعد ذلك ان ينهجوا النهج الذي يريدون .

أمجد الطرابلسي

الحقيقة .. الحقيقة المرة

بقية ما نشر على الصفحة الاولى

روحهم لتغذية عناصر تقدمنا ورقينا وسعادتنا ، ولما قووه ويقوونه من انفعالات المثل والقيم التي ننشدها في تنظيم حياتنا وتجديد وجودنا واغنائه . وليس يكفي لايقاظ شعورنا تكريم الاديب أو المفكر أو الفنان بعد موته ، واهماله في حياته ، لأن ذلك لا ينمي قط الشعور بالواجب حيالهم ، لأنه وقتي يذهب بذهاب المناسبة . . بل علينا ان اردنا حقاً تكريم ادبائنا ومفكرينا وفنانينا ، أن نعرف انجع الوسائل التي تجعلنا حياتهم ذاتها التي يحيونها ، شاعرين بقيمة الأدب والفكر والفن كمقياس صحيح للرقي ، مؤمنين ايماناً صادقاً بقيمة حياتهم وامتلائها وعطائها . .

وبعد . . ان المسؤولين مدعوون الى اتاحة الحياة اللائقة بكرامة الادباء والمفكرين والفنانين ، وهم مدعوون ايضاً الى رعاية الموهوبين منهم وتشجيعهم بشتى الوسائل الممكنة التي تنمي قواهم وتفجر طاقاتهم الكامنة . وتغني ارواحهم وتدفعهم الى الخلق المستمر . .

اترى يحل المسؤولون تلك العقدة ، ويطلقون تلك الحبسة ، ويسقطون تلك المحنة ، ويصرفون عنا ما نكابد وما نغالب ؟ ام تراهم ينصرفون عنا غير حافلين بنا ، ولا عابئين بشكوانا كأن امرنا لا يعنيهم ، وان حياتنا لاتكرثهم ؟

اللهم اعط المسؤولين عن الادب والفكر والفن ما اعطيت نبييك من التوفيق والتسديد ، حتى يتسق لنا ما نؤمل ، ويزول عنا ما نكابد ، وينتظم لنا ما نحاول ، ويتحقق لنا ما نرجو . .

اعلل النفس بالآمال ارقبها ● ما اضيق العيش لولا فسحة الامل

الا ليت املا تحقق بيع فاشتريته . .

سعد صائب

مولد المجد

شعر

نديم محمّد

فتح ـ وما ازهى ـ ونصر وترفع ـ ابدا ـ وكبر
المجد مولده ، على راياتنا ، والدهر بكر
لبست مطارفه دمشق وجررت برديه مصر
العاشقان الهاجران تلاقيا ، وانزاح ستر
وجرى ، بما تهوى النفوس وتشتهي ، قدر وسحر
فاذا الميدان ، على الزمان ، يد ومثنى النحر نحر
عرس العروبة رشه ألق ، وغرد فيه عطر
اي الخواطر لم يونحها ، من الادلال ، سكر
في كل مسفح رنوة وتلفت شرف وفخر
جمع الهوى قلباً الى قلب ، فلا خلف وهجر
لافتنة يعلو بها صوت ، ولاعنت وقسر
لم يبق ثغر ، لم يرف عليه بالبسمات ثغر
غنت بوثبتنا ، ذرى مستكبرات الحسن ، خفر
حتى ركزنا ، في الضحى ، علماً وحط علية صقر
شهد العلى أنا وفينا ، والعلى نسب وصهر
من امرع الساحات نصراً .. ؟ نحن في الساحات نصر
من اطلع الآمال من ظلماتها ، والدهر عسر
من ؟ نحن يعرفنا الزمان ، أغر يعقبه أغر
في الافق ، نحن الطالعون ، فكلنا شمس وبدر
وعلى الثرى . نحن الربيع ، فكلنا ورد وزهر
عرب وتنمينا الى اعراقها . مضر وفهر
تاريخنا اغنية ، الوانها خضر وحمر
للحرب نحن السيف ، سيف العزم ، يرعد فيه ثأر
والسلم نحن لها ، لها في عرسها ، خمر وشعر
والحق نحن بناته الاعلون ، لازيد وعمر
ألبر زينتنا ، وزينة غيرنا صلف وفجر
ونلين لين الكيسين ، وعودنا الصلب الأمر
الا مواطن للاباء ، فانها حرم وطهر
ضدان ، في الحسنى لنا امر ، وفي البأساء امر

نبني وهذا الافق من آثارنا صرح وقصر
لحنا على شرفاته من قبل ، فالشرفات زهر
فزها بنا ملك وتاه ، كما يشاء التيه ، دهر
وسوابغ الابطال ، يوم الروع اول مانجر
كم شامخ . للعسف نصدم ، ثم نمزق ، ثم نذرو
كم عاصف للشر نزحم ، ثم لاينقض شر
نصلي بنار الجرح وثبتنا ، فتسعر فهي جمر
عربية الاسياف ، تفصح بالملاحم او تسر

★

ومضى الزمان يضيء خطوتنا فلا زيغ وعثر
كفل النضال جراحنا فأحبها ، والحب عذر
فسقى بها ظمأ الحديد ، لحره شهق وزفر
هزجت له حطين والدنيا صباح مكفهر
وتنفض اليرموك يحضنه ، وفي عينيه بحر
حقب توالت ، والرضى رحب ونشر الحب غمر
فتوهجت حدق الافاعي ، وانتشى بالسم حجر
وتزاحفت سلعاً .. ولم يسمع لها لهث وصفر
وسعت فواغر ، جن في اشداقها نهم وحر
تنساب لينة ، وفرش دروبها في الليل ، حذر
فاذا تهم اطل يحشرها ، الى الاوكار ، فجر
والطامع المغرور عفر انفه وأذل خسر
راع الفراخ ، فهب يصفعه من القمات نسر
فجلا دخاناً ، ثار في حلكاته ، وقد وسعر

★

ومشى النضال يجر هدر دمائه ، ويلح هدر
والساح ، في وهران ، زلزلة .. وترويع ونكر
والشام الام وامال وايمان وصبر
وشبول مصر ، تروح في آجامها ، لاتستقر
ماء القناة الوادع المتناف ، يلعق فيه نمر ←

فانهد اعصار ، وعب وهاج طوفان وبحر
بحر مواخره سواعد ، نظمها بيض وسمر
تهوى ضفار الغار ، من قطب النجوم ، فنعم ضفر
وتسل من ضلع الجواحم خمرها ، فتطيب خمر
شرفاً قناة الخالدين ، فانت للغازين قبر
فاذا تهدر سيلهم متحلفين ، وضج زخر
ناديت اختك « برسعيد » فأقبلت واشتد ازر
فدوى بهم زأر وجلجل ، لن يمروا ، لن يمروا
فتهافتوا زبد المياه ، يفته ، في الشط ، صخر
فروا ، فلو ابصرتهم مزقاً تطير ، ولا تقر
شرف الهزيمة ان يخلف ظله في الغاب ، هر

★

حتى اراح الليل ساهره ، وهز الشوق خدر
أرغى وازبد جمعهم ، وتلملموا .. فاليوم حشر
فمشى الى الغمرات ابطال على الغمرات ، صبر
داروا باسمر زينة الميدان ، بربهم وبروا
اغلى واغلوا المجد خطاباً وزان المجد مهر
نارتصب جحيمها . ودم على الغبراء همر
وهزيم ارعدة ، يهز الجو ، ينبح فيه غدر
وسوابح في الماء يزرع دربها ، هول وذعر
والصبح في ثوب الدخان ، كانه في الصدر سر
صور تفوت العين يجلوها ، على الافهام ، فكر

★

يا اسمر الاهرام ، عصف خطاك لامهل وخطر
اياننا طولى ، تلوح ، وخيلنا تختال ، شقر
والصف منتهض الجناح وصوته في الحق جهر
ورمالنا ، او لؤلؤ فرطوه ، او شذر ودر
قم انت وحدك ، لاصلاح ولا معاوية وعمر
جرح الجزائر لاينهنه دفعة ، فالجرح ثر
القتل في احنائها يطغى لظاه ، ويستحر
وسبية في الترك . يدمي قلبها غلظ ونهر
وسيوف حطين الحرار ، املها غمد وزجر
حربة ظمئت ومن يسقي ، اذا لم يسق حر ؟!
قم زلزل الدنيا ، فما يغني سواك ، ولايضر
رد السبايا ، فالحسان البيض يرهقهن أسر
قم حطم التيجان ، لايمنعك اجلال وقدر
سرف العروش ، اذل انف الملك والاسراف كفر
لايصنع التاريخ فرد ، حكمه رغم وقهر
الشعب صانعه وحب الشعب ، لانهي وامر

★

ما أنس مؤتزرين بالظلمات ، لملمهم مقر
لفوا نهارك بالضباب ، ورشفوه دماً وفروا
أشرقتهم بسلافهم ، ومن الشراب اذى وضر
يا اسمر العقبان ، شعري في ضحاك ندى وقطر
والشعر من عطر الحياة ومسكها ، ارج ونشر
لولا سراحك ، لم يفت قصائدي في الريح بشر
لولاك لم يخفق بغير مراوتي والغيظ صدر
انا من صميم الريف لي خلق الذرى : انف وكبر
انا فكرتي لعقيدة اكرمتها ، وقف ونذر
بالفجر احلف ، مركب الاحلام للغايات وعر
فاشدد خيامك فالغمائم خلفها للريح زأر
لاتله عينك بالشموس ، فللدجى ناب وظفر
وحلفت . للعين البصيرة ، في السرى نعس وفتر
آمنت . قمات الشواهق ، من بغاث الطير ، قفر
اما السفوح ، فللبغاث بجوها صخب وطفر
يا اسمر الابطال ، والايام اقبال ويسر
لي ، عند سمعك ، منة الاصفاء لاكرم واجر
الخلد عمر الملهمين ، وما لباقي الناس ، عمر

شباط ١٩٥٨ نديم محمد

لماذا لا تكون لنا "ايديولوجيا" عربية

بقلم

الدكتور حكمة هاشم

يبحث المفكرون والسياسيون العرب اليوم عن نظام « عقائدي » متماسك لدولتهم الجديدة، ويطوون هذا البحث تحت عنوان « الايدلوجيا العربية » ولقد أثار هذا الاصطلاح جدلاً عنيفاً بين الكتاب ولا سيما المذهبيين منهم ، حتى مضى أحدهم الى نكران معناه ، وقال : ان الايديولوجيا « لاعلاقة لها بالسمات القومية » والقول بأنها عربية أو أعجمية كلام فارغ غير ذي مضمون . ذلك بأنها « تعكس نظاماً اجتماعياً ووضعاً طبقياً » ، وما العرب ولا العجم بطبقات للناس ، وانما هم اقوام وامم منهم . فالعقائد ليست بالشيء الذي تخترعه الامم من تلقاء طبيعتها القومية حتى تنسب اليها وتتسم بطابعها الوطني ، وانما هي منبثقة عن النظم الطبقية . « ونحن نستطيع ان نخلق فلسفات عربية وفنوناً عربية وتشريعات عربية . ولكننا لانستطيع ان نخلق ايديولوجيا عربية . كل مافي الامر اننا نستطيع ان ندرس النظام الاجتماعي القائم في البلاد العربية فنكتشف الايديولوجية التي تعبر عنه بقدر ماتعبر عن اي نظام اجتماعي يماثله في اي طرف من أطراف العالم » (١)

وغرضنا في هذا المقال العاجل ان نبين امكان اتخاذ مذهب عقائدي يستطاع تسميته بالايديولوجيا العربية . ولكن لنتفق اولاً على معنى الالفاظ .

لقد استعملت كلمة (Idéologie) في آخر القرن الثامن عشر بمعنى العلم الذي غرضه دراسة « الافكار » (Idées) كحوادث من نطاق الشعور ، ومعرفة خصائصها وقوانينها .. ولا سيما أصل نشأتها . وهذا معنى نفساني « سيكولوجي » جرى اول ما جرى على لسان دوتراسي (Destutt de Tracy) ومعه بعض الاطباء والفلاسفة امثال Cabanis ، وVolney ، Garat ، وDaunou الذين كان يقال عنهم (idéologues) وقيل (idéologistes)

وجاء الكاتب الروائي الشهير ستاندال فنقله الى باب المنطق ورأى الاضرورة « لعلم أفكار » مع وجود العقل وملكة الحكم ! ثم مالبث ان اصطبغ هذا المعنى بصباغ الهجاء ، فأطلق اللفظ على كل مناقشة جوفاء تدور على افكار مجردة دون ان تتناول الواقعات . ومن هنا رمي فريق من السياسيين الخياليين كنابوليون وشاتوبريان بأنهم « ايديولوجيون » او أصحاب أفكار « مثالية » - بالمعنى الرديء - كما نقول اليوم .

ولما طلع كارل ماركس على الناس في القرن التاسع عشر بنظريته الكبرى في الجدلية الكبرى التاريخية ألحق وصف « ايديولوجي » أيضاً بكل تعليل اجتماعي يقيم وزناً للافكار اكثر من الواقعات المادية في مجرى التاريخ ، وقرر - على العكس - ان كل « تصور أو رأي او مذهب فلسفي او اعتقاد ديني » فهو ايديولوجيا ثانوية ينبغي التماس اسبابها في الحوادث الاقتصادية . والحق ان رأي ماركس هذا الذي نشير اليه هو ينبوع اللبس الذي اصبح يداخل الاذهان عندنا ، لأنه أضاف الى مضمون كلمة ايديولوجيا (أي منظومة العقائد الفكرية) نظرية يؤمن بها على أنها حقيقة ايجابية اولئك الذين يعرفون بالاشتراكيين العلميين . وهذه النظرية هي المسماة بالتفسير المادي للتاريخ . ولعل سخرية القدر شاءت لهذا النحو من التعليل السوسيولوجي « العلمي » ان يطلق عليه معاصرونا من رجال القرن العشرين « الايديولوجيا » الماركسية !

ليس من شأننا هاهنا ان نسترسل الى نقاش حول القضية بالشكل الذي وضعها على نحوه الهيجليون ومن بعدهم ماركس : فالقول بأن المادة أصل او ان الفكر اصل مسألة فلسفية من نطاق الميتافيزياء . وقد يكون وضعها في هذه الصيغة المتأرجحة بين حدين منفصلين ، وضعاً فاسداً من أساسه بل لعله كان من الخير أن نستعمل هذين اللفظين اللذين لايحتويان اي مدلول راهن ، على وجه المجاز فقط كوجهين لحقيقة واحدة لاتقبل القسمة . ولكن ليكفنا أن نقرر ان كلمة « ايديولوجيا » اصبح يراد بها كل نظم عقائدي منسجم يؤمن به مجتمع من المجتمعات او دولة من الدول - على اعتبار ان الدولة انما هي مظهر التنظيم السياسي للمجتمع - . وحملاً على مثل هذا المعنى ، في وسعنا ان نتكلم على ايديولوجيات من الشرق ومن الغرب ، وان نبحث عن ايديولوجيا « عربية » اي عن مذهب ملتحم يتناول جملة شؤوننا العقائدية فيحشدها في منظومة متسقة .

---

(١) اسماعيل المهدوي في صحيفة « المساء » المصرية (٢٢ مايو ٥٨) بعنوان : البحث عن ايديولوجية ،

واذا كان الامر على ذلك ، استطعنا ان نخطو خطوة ثانية فنتساءل : كيف السبيل الى التماس هذا المذهب ؟ وأنا اعترف ان الجواب على هذا التساؤل في غاية العنت والحرج فالناس يطمعون ان يحمل اليهم مذهب جديد كل الجدة مبتكر كل المبتكر . ومطلب من هذا النوع لا يجود به الدهر الا في الندرة النادرة ، لأن عمالقة الفكر البشري الذين كانت لهم مذاهب رئيسية شاملة لا يتجاوزون أصابع الكف عداً ، ولم تجر العادة ان ترتجل الانسانية العبقريات الجبارة كلما دعت الحاجة الى « تراكيب » كونية شاملة . غير اننا اذا عرفنا ان نكون متواضعين في مطلبنا ، استطعنا ان نجد حلاً معقولاً ، ومثل هذا الحل كامن في « النزعة الانتقائية » التي تميز بها تفكيرهم حتى في عصورهم الزاهرة . ومعلوم ان هذه النزعة انما تقوم على الاختيار والاصطفاء وحسن التأليف بين العناصر . واذا جاز لنا ان ندلي بدلونا بين الدلاء ، تعرضنا لبعض النقاط التي تعيننا على نوع من الاطار يصلح أن يحيط باتجاه شعورنا وفكرنا وعملنا في دنيانا العربية .

ان اولى هذه النقاط هي الايمان بالعقل وبقيمة العلم التجريبي ولهذا كان لا مندوحة لنا ان نصطنع قواعد الفكر الايجابي الموضوعي ، ذلك الفكر الذي ظلت البشرية تتلمسه خلال عصور سحيقة الى ان وفقت للاهتداء اليه ، وبلغت اخيراً بواسطته مغاليق اسرار الكون تفتتحها واحداً بعد واحد ويترتب على ذلك ان نهجم هجوماً لا رجعة فيه على تلك الحصيلة من المكتسبات الراهنة التي اصابها العلم الحق ، فنتبنى نتائجها ونسهم في تطويرها واغنائها ودفعها الى الامام . ومعنى ذلك ايضاً أن نهجر الى غير رجعة كل ما أثبت هذا العلم الايجابي استحالته وتناقضه وعبثه من الخرافات والضلالات والاباطيل والاساطير . ان عالمنا الحاضر عاد لا يتسع للسحر ولا للشعوذة ولا للحزر ولا للتخمين . وأساليب العلم طغت على جميع ميادين المعرفة فلم تلج هذه الاساليب في الفيزياء والكيمياء ، حسب ، بل خرجت عن حيز المادة الجامدة لتنفذ الى حظيرة المعنى الخالص . افلسنا نرى البيولوجيا تغزو أسرار الحياة ؟ او لسنا نرى ميادين النفس والاجتماع قد دُكت حصونها واحداً بعد واحد امام فتوحات الطريقة العلميـة ؟ او لسنا نرى الانسان وهو مسلح بسلاح هذه الطريقة العلمية عاد لا يتهيب عثرة في منحى من مناحي المعرفة مهما بلغ به التعقيد؟ على هذا النحو ، يجب ان يصطبغ تفكيرنا جميعه بالصباغ العقلي والعلمي ، ويجب ان يسود ايماننا بالعقل وبامكانيات الطريقة العلمية كل شؤوننا القومية من سياستنا الى اقتصادنا الى دفاعنا الى تعليمنا الى تنظيمنا الاجتماعي ، فنجعل الكلمة الاولى والاخيرة في كل ذلك للعلم ، وللعلم الايجابي وحده .

والنقطة الثانية هي ايماننا بأصالتنا كعرب . فنحن امة لنا لغتنا العربية ، ولنا ادبنا العربي ، ولنا ميراثنا الروحي العربي ولنا عاداتنا العربية وتقاليدنا العربية ، ولنا طابعنا العربي القومي الخالص . ومهما ماحك المماحكون فرجعوا يغوصون ، في اغوار التاريخ على اصولنا الكلدانية والآشورية والفينيقية والفرعونية والبربرية وما لست ادري من أرومات وجذور وجراثيم ترجع الى عهود « المستحاثات العُدمُلية » فمما لا ريب فيه ان الواقع يدلنا على ان الناس في مشارق الارض ومغاربها أصبحوا لا يعرفوننا اليوم (حين يتكلمون عن المغرب الافريقي ومصر واليمن والحجاز ونجد والعراق وفلسطين والشام ولبنان والاردن) الا بالشعوب العربية وبالدول العربية . فأقل ما يجب علينا في حق انفسنا ان نعرف لأنفسنا اننا الامة العربية . فاذا ماعرفنا لذاتنا اصالتنا كعرب ، امكن ان يكون وجودنا بناء في هذا الكون ، وحينئذ نعطي ونأخذ ، ونمنح ونتقبل ونتبادل ونتعامل ونتفاعل ، فننال نصيبنا من التراث الحضاري ونؤدي ماعلينا من دين تجاه هذا التراث . ان ايماننا بالاصالة العربية سوف يكسب أدبنا وفننا ونتاجنا الفكري والروحي وحتى الصناعي والمادي طابعاً خاصاً ذا قيمة . فلن تضمحل بذلك شخصيتنا القومية المتميزة ، بل تزدهر وسط القوميات العالمية الاخرى فتغنى هي بهن ، ويغنين هن بها .

والنقطة الثالثة هي ان تظل قوميتنا مفتوحة على العالم فلا تقبع في حدود انانية مستأثرة مغرورة . ان الضابط للاصالة العربية كيلا تنحرف فتتردى في مهاوي الفاشية ان تظل على صلة بالانسانية فلا بد لها ان تعتنق المثل العالمية العليا المتسمة بالشمولية الكونية . ومعنى هذا أنه ينبغي أن نؤمن بحقوق الانسان المنبعثة من كرامته البشرية ، ولهذا يجب ان تتعلق مثلا بالحرية في جميع اشكالها (حرية القول والاعتقاد والتفكير) وبالمساواة التامة في الحقوق دون تمييز لاعتبار ما ، وبالتسامح وبالعدالة الاجتماعية . وبالاجمال يجب ألا تتنافى مفاهيمنا القومية بحال والمثل العليا الدولية العامـة ، وذلك تحقيقا للتضامن البشري .

البقية على الصفحة « ١٤ »

قارئ الدم

شعر

بدر شاكر السيّاب

أنا ، أيها الطاغوت ، مقتحم الرتاج على الغيوب
أبصرت يومك وهو يأزف :
هذه سحب الغروب
يتوهج الدم في حفافيهـا وتنثر في الدروب
شفق البنفسج والورود ولون اردية الضحايا ،
فتشع اعمدة عوابس ؛ والرصيف – من الصبايا
والنسوة المتهامسات – كحقل قمح ، والسطوح
كأن بابل أودعتها من جنائنها بقايا
(لو أن غرساً كان من بشر) ، وأسمع من يصيح
«هوذا يساق الى الحساب» .. كأن أعراق المغيب
قطعت فصاح .. كأن صوتا من لظى حملته ريح
من كل أودية الجحيم : « هوا .....ه » !

. . .

اني شهدت سواك ينسفه اختناق للصـــدور
بغيظها ، وسمعت قهقهة الضحايا في القبور
ودم الحوامل وهو تشربه الاجنة في دجاها :
فسمعت وقع خطاك خائرة ، تجر الى السعير
حطام جسمك – والسعير مـدى تراها
تحتز في قصبات صدرك ثأر كل دم العصور
اني أكلت مع الضحايا في صحاف من دمـاء ،
وشربت ما ترك الفم المسلول منه على الوعاء ،
وشممت ما سلخ الجذام من الجلود ، على ردائي ،
ونشقت ماء جوارب السجناء في نفس الهواء :
فشممت فيه دخان دارك واحتراق بنيك فيهـا
وشواء لحم بنيك – لولا ان شيمة محرقيهـا
الا يذوق الابرياء جزاء غـير الابرياء !

. . .

اني شبعت مع الجياع ، مع الملايين الفقيره ،
فعرفت اسراراً كثيره :
كل اختلاجات القلوب وكل ألوان الدعاء :
اغضاءة المقل الضريرة :
يتطلع الدم في ظلام جفونهن الى الضياء ،
والحاملات نذورهن الى قبور الاوليـاء ،
الموقدات شموعهن تلق ألسنها الكثيره
كسر الرغيف ويعتصرن دم الثدي الى الدماء ؛
وتأوه المستنقعات وزفة البردي فيهـا
وطنين اجنحة البعوض .. كأن غرقى ساكنيها
يتنفسون من القرار ويضرعون الى السماء
ان ينجو الاطفال من غرق وحمى في الهواء ؛
ومـلالة الاكواخ تشرب كل أمطار الشتاء
حتى تغص بها ، فللقصب النقيـع ، بكل ماء ،
شهقات محتضر يغر ، وان تقيأ ، بالدواء ،
وتنهد الاشجار عطشى يابسات في الظهيرة ،
تتكسر الورقات فيها والمنـاقير الصغيرة
فكأن مقبرة الهجيره
تمتص من رحم الحياة ، لتسقي الموتى عصيره

. . .

انا قاريء الدم : لاتراه وأنت أنت المستبيح :
افلست تجرؤ ان تحدق فيه ... علك تستريح
من ازدهار دم تذر على جفونك منه نار ،
لزج يسيل مع الرقاء كأن بؤبؤك الذبيح ؟
قابيـل حدق في دمـاء أخيه أمس ،
وأنت يأخذك الدوار
من رؤية الدم وهو ينزف ، ثم يركد ، فالغبار
من تحته كفم الرضيع ، له اختلاج وافترار
اتخاف ان تطأ النبوءة مقلتيك : « هو الدمار » ؟
أتخاف منها أن تفر كأن سرب قطاً يثار

البقية على الصفحة « ١٧ »

الأدب في بناء الدولة

بقلم

الدكتور اديب نصور

هناك امكنة، كما يقول باريس ذات مغزى وذات معنى للروح من تلك الامكنة القليلة التي تعني الروح منتدى سكينة هذا المكان . واني لاسعى الى هذا المنتدى الراقي بروح من يود ان يصغي ويطيل الاصغاء ويتعلم . ولكن يبدو لي ان من تقاليد هذه الندوة ، وهو تقليد عادل وحكيم ، ان لا يتاح الاصغاء الا لمن يدفع بين حين واخر ضريبة الكلام ، فهاأنذا امتثل لهذا التقليد الكريم طمعا في الاصغاء اليكم والافادة منكم بعد ذلك .

نحن الان في جمهورية عربية جديدة نريد لها ان تقوى وترسخ في الارض وترقى ، وامامنا مهمة كبرى قد تشغلنا الى اخر هذا القرن وربما الى ما بعد هذا القرن وهي بناء دولة العرب التي تضم كل العرب وتوحد الاوطان العربية كلها في وطن .

كيف يكون بناء الدولة وكيف تعظم وترقى الدول ؟

ليس بالمرمر ولا بالرخام تبنى الدول وتقوم .

« لا بالحجارة ولا بالقرميد حصنت اثينا » ، قال ديموستين مخاطبا اخين مدافعا عن نفسه كرجل دولة ، مسؤول وليس ذلك بالعمل الذي افخر به اكثر الفخر . ولو نظرت نظرة صائبة الى تحصيناتي لوجدت سلاحا ودولاً وقلاعاً وموانىء ومراكب وخيولاً ورجالاً يقاتلون . تلك هي الحصون التي حميت بها (اتيكا) كافضل ما تستطيع الحكمة البشرية ان تحمي الثغور .

والسلاح والقلاع والموانيء والمراكب والخيول ليست شيئا بدون رجال .

تبنى الدول وتقوى وتبقى ، ويحسن عنها الدفاع ، وتعظم وترقى باخلاق الرجال وفضائل الرجال وعزمات الرجال . تبنى الدول وتحيا بالمواطنين وبالمواطنات .

فاذا اردنا ان ننشىء دولة حرة كريمة فيجب ان نهيء لها المواطن الحر الكريم . واذا اردنا دولة شجاعة باسلة فيجب ان نربي لها المواطن الشجاع الباسل . واذا اردناها دولة عادلة وجب ان نخرج المواطن العادل . واذا اردنا الدولة الفاضلة الصالحة ، فليس لنا الا المواطن الفاضل الصالح .

نريد عالما جديدا باسلا ويجب ان نعد له مواطنين يصنعونه ويعمرونه ويملأونه عدلاً وخيرا .

« ليست القلعة شيئا منفصلا عن اهلها وليست السفينة شيئا منفصلا عن اصحاب السفينة » كما يقول سوفوكليس .

اذن فقد اصبح موضوعنا : دور الادب في تربية المواطن الصالح .

واعلم ان تسخير الادب لاغراض معينة يلقى معارضة شديدة من بعض المدارس ، ولست احب ان ادخل في مثل هذا الجدل . ولا ازعم ان مهمة الادب تنحصر في تكوين المواطنين الصالحين . من مهمات الادب ان يبهج ويسر ويطرب كما يطرب اللحن الجميل . ومن مهمات الادب ايضا ان يعرفنا الى طبيعة الناس وشئون الحياة ، وفي شئون الحياة الشر الى جانب الخير ، وفي طبائع الناس الرفعة والسمو والعظمة والكرم وفيها ايضا ما هو دون ذلك بكثير . لكنني في هذا الحديث أنظر الى الادب من زاوية التربية المدنية واقدم بين ايديكم ان الادب يستطيع ان يساهم في تكوين المواطن الصالح للدولة وللاديب ان يكتب ما يشاء ويرضى ، ولكن المربي ولرجل الدولة ان يختار من الادب الواسع ما يلائم اغراض التربية الوطنية . اني لا اعترض على ابي نواس حين ينظم قصيدة فنية رائعة في الخمر والخمارة والنديم ، ولكني احترم وافهم قرار المربي حين يهمل قصيدة ابي نواس ويضع بين ايدي الناشئين قصيدة لابي الطيب المتنبي وقصيدة لابي العلاء .

وحين يضع المعلم في المنهاج سوفوكليس ودانتي وشكسبير ويستبعد مارسل بروست واندرية جيد مثلا فذلك لا يعني اننا نحكم على بروست حكما ادبيا نهائيا بالاعدام ، فقصته « في البحث عن الزمن الضائع زمن الادب الانساني العميق من صميم الادب ولكنا نقول : ان للمربي الحق في ان يختار مايشاء من هذا الادب الانساني الكبير . ونردد مع يوريبيدس : ولا شأن لي بالفنون البارعة ولكن كل ماتحتاج اليه الدولة ..

قال سقراط مخاطبا غلوكون في جمهورية افلاطون : حين تجتمع يا غلوكون بمادحي هوميروس الذين يزعمون انه مهذب اليونان وانه يستحق ان يقرأ كمرشد في تنظيم شئون البشر ، وان على المرء ان يرتب مجرى حياته بتمامها حسب ارشاد الشاعر فعليك ان تحييهم تحية حب كاناس افاضل وتسلم معهم ان هوميروس اول شعراء المآسي واعظم الشعراء . ولكن يجب ان نبقى راسخين في اعتقادنا ان التسبيح للآلهة والثناء على الرجال

محاضرة القيت في منتدى سكينة بدمشق مساء السادس عشر من نيسان سنة ١٩٥٨

العظام هو الشعر الوحيد الذي يباح في الدولة . اما اذا عزمت ان تبيح تعظيم عرائس الشعر الغنائي والقصصي تحكم الالم واللذة في دولتك عوض تحكم الشريعة والمبادىء

ولكي لا يبقى كلامنا نظريا عاما اسمحوا لي ان اضرب لكم مثلا من هذا الادب الذي يخدم اغراض التربية السياسية لم انتق خطبة لديموستين او لبركليس ، وخطبهما من الادب ، ولم انتق حوارا لافلاطون وكل ما كتب افلاطون من الادب ولكني اخترت مسرحية ليوربيدس - ليس قطعة من الادب الصغير ، الادب بالمعنى الاضيق الخاص . ويوربيدس من معاصري سقراط وثوكديدس المؤرخ ومن تلك الزمرة العجيبة التي ظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد وازدانت بها اثينا . وقد مثلت مسرحية (المتضرعات) في اثينا سنة ٤٢٠ قبل المسيح تقوم حرب بين دولتين من دول اليونان ارجوس وثيبة ويرد اهل ثيبة هجوما شنه على مدينتهم اهل ارجوس ولا يسمح اهل ثيبة المنتصرون لاهل ارجوس المنكسرين ان يدفنوا قتلاهم . والمتضرعات هن امهات الابطال الذين سقطوا في المعركة منعهن اهل ثيبة من دفن ابنائهن فجئن الى اثينا مستنجدات ملتمسات من ملكها « ثيسيوس » العون والنصرة ، ويدخلن ومعهن ملك ارجوس « ادراستوس » على والدة الملك « اثرا » وهي تصلي في هيكل من هياكل الآلهة ويلقين تحت قدميها الاغصان باكيات نائحات على عادة المتضرعات .

وتنتصر الملكة الوالدة لهن وتستدعي ابنها الملك الى الهيكل ويتكلم ادراستوس الملك المغلوب المتضرع مع المتضرعات : تسالني ايها الملك لماذا تجاوزت مدن اليونان كلها والقيت هذا العبء على اثينة ? وعلي ان اقول لك ان سبارطة قاسية وعاداتها متحولة متقلبة ، والدول الاخرى صغيرة وضعيفة ، ومدينتك وحدها تستطيع ان تباشر هذا العمل .

ويرفض ملك اثينا التدخل اول الامر . وتبكي ام الملك وتقول : هل اقول شيئاً يابني يضيف الى مجدك ومجد الدولة? الملك : تكلمي فكثيرا ما تجري النصائح الثمينة على شفاه النساء اثرا : انصحك يا بني ان ترعى ارادة السماء فانت ان استخففت بها تعرضت سفينتك للغرق ولقيت الخراب .

واحثك ان تستخدم سلطانك لتقنع رجال العنف الذين يمنعون الموتى من ان يأخذوا حقهم من مراسم الدفن ان يقوموا بهذا الواجب . واقمع اولئك الذين يعطلون تقاليد كل اليونان . فان مايحفظ الدول ويجعلها متماسكة قائمة هو مراعاة القوانين . وربما قال قائل ان الجبن هو الذي يجعلك تقف بعيدا خائفا تترقب بينما تستطيع ان تكسب لمدينتك تاجا من المجد الرفيع . افلا تسرع الى نجدة الموتى واولئك النساء المسكينات في ساعة حاجتهن ومحنتهن ? اني لا اخشى عليك اذا مشيت في طريق النجدة لانك تأخذ اول الطريق والحق الى جانبك

ويسلم الملك بوجاهة رأي والدته ولكنه يرى انه ينبغي ان يحصل على موافقة اهل المدينة فاثينا مدينة حرة ولكل فرد فيها صوت

في تلك الاثناء يصل رسول من ثيبة ويحذر ملك اثينا من التدخل والا فانه يجلب الحرب والدمار الى بلاده فيقول ملك اثينا للرسول :

« انا لم اختر الحرب ولم اشترك مع المحاربين الذين توجهوا الى مدينتكم ، ولكني اطالب بحق دفن القتلى ، لامتعرضا لاية دولة باذى ولا مبتدئا حربا ولكن محافظا على قانون بلاد اليونان جميعا . دعوا الموتى يدفنون في الارض فيرجع كل عنصر الى المكان الذي خرج منه . النفس للهواء والجسد للتراب . فانما نحيا حياتنا وبعد ذلك تأخذ امنا الارض وتسترد ما اعطت اول مرة . اتظن انكم تسيئون الى ارجوس وحدها بمنعكم دفن الموتى ? كلا . كل اليونان تشترك في المحنة ان سلب الموتى حقهم ولم يسمح لهم بضريح . ولو اصبحت تلك قاعدة لدخل الذعر على اشجع القلوب . لتدفن جثث القتلى . والا فسأذهب وادفنهم بالقوة ولن يعلن في اليونان ابدا بان قانون السماء القديم قد سقط عندما آل الي الامر .

١ - لنذكر اولا ان يوربيدس ابن عصر كثر فيه النقد وكثرت فيه السفسطة وقد اثر اصحاب السفسطة في تحويل الفكر اليوناني في القرن الخامس ، وتزعزت القيم القديمة وراح العقل يفكر ويبحث عن قواعد جديدة للحياة وعن قيم ومقاييس للمجتمع . كان مسرح اخيل قبل نصف قرن يزخر بالبطولة وبالالهة ، لكن العالم الذي عاش فيه يوربيدس قد تركته الالهة وبقي للبشر ان يبحثوا عن طريق ليقرروا قيمهم ويكتشفوا هدفا لهم . وراح الفكر يبحث عن اساس للحياة . وكانت الآراء كثيرة . الاسواق والملاعب كانت تعج بالتعاليم المختلفة يقدمها رسل الانوار الجديدة . كيف ينبغي للانسان ان يعيش في عالم غادرته آلهته ? وكان كل واحد منهم يعلم علما ويعرف طريقا مختلفة عن طرق الآخرين .

ولا شك ان يوربيدس يعالج مشكلة هامة من مشاكل

الحيــاة في زمانه وفي كل زمان كيف يعيش الانسان ، اي كيف يعيش الانسان مع الآخرين ؟ والآخرون هم اعضاء المدينة ، هم المواطنون في الدولة .

ادراستوس ملك آرجوس يطلب مع المتضرعات الى ملك آثينة ان يجازف بسمعة مدينته ، وان يجازف بوجوده وبوجود مدينته . وليس الملك مجبرا ولا ملزما ولا مضطراً الى نجدة اهل آرجوس وليس بينه وبينهم اي عهد او حلف ، وهو الممثل للارادة الاثينية السياسية الحرة فكيف يقرر وماذا يكون القرار ؟

٢ – نحن في هذه المسرحية امام عالم منظم قائم على قوانين السماء والارض وعلى ناموس الطبيعة . ليس من اجـل ملك آرجوس ولا من اجل المتضرعات يطلب من ملك آثينة ان يعمل ويتدخل في الامر . لقد ظلم الابرياء واعتدى على القوانين العامة في اليونان ، قوانين الهية وقوانين البشر . وعلى احترام تلك القوانين تتوقف ســلامة وكرامة ووجود آثينة ومدن اليونان جميعا .

نحن امام نظام جديد للعالم يعتبر الحفاظ على القانون اعلى مهمة يتصدى لها البشر . في هذا العالم القيمة كل القيمة للفضائل المدنية . لقد ذهب البطل وذهبت الآلهة وتخلت عن مكانها للمواطن الصالح الذي يحترم القانون والذي يعنى باحترام الآخرين له ايضاً .

المأساة القديمة كانت تعلم الانسان كيف يعيش بكبر وصبر وعظمة وارتفاع همة وبطولة . وكانت تتحرك فيها الآلهة العظام . اما مسرحية يوربيدس هذه واختها الهيراكليدي فبطلها رجل عادي يؤدي واجبه كما تصور له الشرائع والقوانين والاعراف ذلك الواجب ، لايبالي بالخطر ولا بالصعوبات ولا بسخرية الناس وانما يرى واجبه واضحا محددا ويثابر على تأدية الواجب بكل بساطة .

والقانون الادبي لكي يحفظ الحياة المشتركة ويحفظ الدول يتطلب جهد كل فرد وولاء كل فرد الى اقصى طاقته واقتداره

٣ – في مسرحية يوربيدس وفي ادب الآثينين على وجه الاجمال تعظيم لآثينا وتمجيد لمؤسساتها واخلاقها . ففي مسرحية المتضرعات تجازف آثينا بوجودها . انها لاتحارب من اجل الربح والتوسع والسلطان . امام تهديد آرجوس لها بالخراب والدمار اختارت آثينا ان تطيع القانون الاخلاقي غير مبالية بالخطر .

والشيء الجميل ان ابناء آثينا في القرن الخامس قبل المسيح وفي القرن الرابع من فلاسفة وشعراء ورجال دولة يحبون مدينتهم ويصورون تلك المدينة على انها المثل الاعلى في الحرية والعدالة والحضارة ويمجدون المؤسسات الآثينية وتقاها ودورها التقليدي كحامية للمظلومين والمضطهدين والمعذبين في الارض وبديهي ان آثينا لم تكن على تلك الصورة الكاملة ولا يمكن لدولة على الارض ان تكون كاملة ، ولله المثل الاعلى . لكن اعطاء ذلك المثل الاعلى هو دعوة الى تحقيق المثل في الحياة . وليس من الضروري ان تكون آثينا كما وصفها بركليس في خطبة التأبين ، ولكن رجل الدولة الآثني يعلم ويربي ويضع امام المواطنين مثلا اعلى يتحداهم ويحثهم على الكمال . واذا لم يكن حكم القانون واقعا في آثينا فهو مهمة يدعى الى القيام بها المواطنون .

ومهمة يوربيدس تجد تمامها وكمالها في سقراط وفي محاورات افلاطون وبصورة خاصة في حــوار جيورجياس . في هذه المحاورة يحاور سقراط خطيبا من خطباء اليونان ورجلا مشتغلا بالسياسة على النحو التالي :

سقراط : البيت الذي يسوده النظام والانتظام هو خير ، والبيت الذي تسوده الفوضى شر .

كالكيس : نعم .

سقراط : وكذلك الامر في السفينة .

كالكيس : نعم .

سقراط : وماذا تقول في النفس ؟ هل النفس الطيبة هي التي يسودها الاضطراب ام تلك الــتي تتمتع بالنظام والانسجام ويجيب كالكيس بطبيعة الحال بالايجاب . ثم يسأل سقراط : ما الاسم الذي يعطى لاثر الانسجام والنظام في الجسم ؟

كالكيس : اعتقد انك تعني الصحة والقوة .

سقراط : « صحيح » هو مايطلق على انتظام الجسم ومن هنا كانت الصحة .

والقانوني والقانون والشرعي والشريعة هي الاسماء التي تعطى لانتظام عمل النفس وتجعل الناس نظاميين وشرعيين . وهكذا نتوصل الى الاعتدال والعدالة . ثم الا يضع الخطيب الحق نصب عينيه هذه الامور في الكلمات التي يوجهها الى نفوس الرجال وفي كل اعماله ؟ اليس هدفه ان يغرس العدالة في نفوس المواطنين ويقتلع الظلم ، ويغرس الاعتدال ويقتطع التطرف ، ويغرس كل فضيلة ويقتلع كل اثم ؟

واهمية سقراط للعالم انه لم يكتف بالتعليم واعطاء الدروس .

وانما قبل الموت راضيا اطاعة للقوانين التي كان يرى وجوب احترامها ولو كانت جائرة لان دولة لاتقوم ولا تبقى اذا لم تحترم فيها القوانين .

كيف يكون الادب وسيلة لخلق المواطنين الصالحين واداة للتربية من اجل المواطنة الكريمة ؟ واي ادب نختار ؟

يقوم الادب بتربية المواطنين عندما يقدم لهم رؤيا عن انبل الدول وافضلها واكملها في التاريخ وفي الحياة وفي الادب ايضا . آثينا على عهد بركليس ، روما ومجلس الشيوخ وكاتو وشيشرون . جمهورية افلاطون وآراء اهل المدينة الفاضلة .

وكذلك يقوم الادب بتربية المواطنين عندما يقدم لهم رؤيا عن اعظم الرجال وانبل الساسة والمواطنين . ولعل اعظم مدرسة لتربية المواطنين هو الادب اليوناني ، وقد تعمدت ان اكثر من الاقتباس من اليونان فيما تقدم وقد رأينا ان روح عالية تسري في ادب اليونان ، في ادب فلاسفتهم وشعرائهم ومؤرخيهم وساستهم ايضاً . هذا هو الادب الكبير . وكل ماكتب بصدق وحمية وجمال فهو ادب من الادب . وعلى ذلك فتاريخ ثوكيديدس وخطب ديمـوستين ومحاورات افلاطون ومسرحيات آخيل وسوفوكليس ويوربيدس . . كل ذلك من الادب الكبير .

ويلي الادب اليوناني الادب اللاتيني الذي يدور في معظمه حول روما ويعطي صورا من عظمة الرجال وعظمة الاعمال .

في آثينا وروما تفتحت وردات لاتبلى ــ اجمل الفضائل الوطنية ، كما يقول ريمون بوانكارية ، ومن هنا خرجت الى العالم الواسع كل الدروس العظيمة في الشجاعة وفي الولاء وفي التضحية من اجل الشيء العام . ان اعظم مايمكن ان يحدث في مدارس هذه البلاد هو ادخال هذا الادب الكلاسيكي العظيم الى برامجها بحيث يصبح من مقومات حياتنا العقلية والروحية جميعا .

يجب ، اولا ان ينشأ كرسي لليونانية وآدابها في الجامعة السورية وكرسي للغة اللاتينية وآدابها ايضاً في مثل هذه الايام من السنة الماضية انعقد مؤتمر للدراسات العربية في بيروت وكان الموضوع « التربية السياسية » وكان علي ان احاضر عن مهمة الدولة في خلق المواطن الصالح ، وقد دعوت الى ادخال الادب اليوناني الى حياتنا كما افعل الآن وكما فعلت مراراً في السنوات العشر الاخيرة . وفي اثناء المناقشة قال الرجل من كبار رجال التربية والتعليم في دولة شقيقة : الا ترى ان اليونانية شيء قديم ولغة ميتة والاولى الاهتمام باللغات الحية . وتجلدت واجبته ان اليونانية ليست ميتة كما يظن فهي حية في كل جامعة في العالم تستحق هذا الاسم وآدابها حية ايضاً وهي من تراث الانسان الغالي الثمين الذي لايسري عليه التقادم ولا يبلى ابدا .

ويجب ، ثانيا ، ان تنقل الى اللغة العربية الآثار الكلاسيكية . اللاتينية واليونانية . من العار الا تكون قد نقلت الى العربية حتى الآن كل محاورات افلاطون ، ومن التقصير المخجل الا تكون سير بلوتارك مما يوضع بين ايدي الناشئين العرب . وعلى الدولة ان تعنى بهذا الامر وتقدم نفقات الطبع والنشر اذا لم تتكلف باجور الترجمة والنقل .

قد يقول قائل اليس هناك غير الادب اليوناني والادب اللاتيني جدير بالعناية ؟ بلى ، في آداب الامم المختلفة من قديمة وحديثة مايصلح لتربية المواطنين ولترقية الانسان ، والمهم في ان يحسن الاختيار . المهم في الامر ان نختار افضل الادب واعظمه واسماه . اذا اعتاد الناشىء على النظر الى اللوحات الفنية الجميلة ، واذا تذوق الخمر الجيدة ، واذا قرأ الادب الرفيع وصحب الاخيار من الرجال فانه لايرضى بعد ذلك بلوحات قبيحة وخمرة رديئة وادب رخيص ورجال اشرار . ولا يحتاج بعد ذلك الى مايحميه سوى المقياس او النموذج والنمط العالي الذي قام في صدره بمجرد العيش مع الطراز الاول والممتاز والافضل على الاطلاق . ولكل امرىء من دهره ماتعودا .

مشكلة اختيار الاصدقاء والرفاق تصادفنا في الادب كما تصادفنا في الحياة . ومن منا يقبل ان يثرثر مع خادمته الغبية او مع آذن دائرته اذا اتيح له ان يحادث رؤساء وامراء وملكات؟ ولن اذهب ابعد من هذا فاضع قائمة بالاعمال الادبية التي تحتاجها التربية السياسية او التي تحتاجها التربية على الاطلاق ، ولكن يمكن ان تقترح قاعدة عامة للاختيار ، نختار من الادب مايجعل الانسان افضل وانبل واشجع واكرم واعدل .

قلت « الانسان » فاين المواطن ؟ في التحليل النهائي المواطن الصالح والانسان الفاضل رجل واحد فالرجل النبيل في حياته الخاصة ونبيل في حياته العامة ، كريم في البيت وكريم في السوق وكريم في دوائر الدولة ايضا . واذن فكل مايجعل الانسان افضل كانسان يجعله اصلح بالوقت ذاته وبالفعل ذاته كما يقول التعبير اللاتيني .

وبعد فلماذا نقرأ الادب ؟ للغة ؟ للموسيقى ؟ ام للفكر ؟ هل هو الصنيع الفني الذي يستهوينا ام الكشف عن الحياة ؟ والجمال ، هل يراد الجمال في الادب لانه جمال فحسب ام لانه

جمال تكشف فيه اعلى مرامي الفكر والعمل ؟

نقرأ احيانا كتابا او فصلا من كتاب فنشعر اننا ارتفعنا شيئا ما واننا عشنا لحظات في جو المرتفعات . والعمل الادبي العظيم هو الذي يرفعك حين تقرأه وتحس انك اصبحت انسانا افضل واعلى . وهذا ماعناه سقراط حين قال لغلوكون ، عندما يبتدىء بركليس الكلام في المجلس فان الآثينين يكونون اقل صلاحا مما يكونون عند انتهاء كلامه .

والادب المعاصر ؟ ان الادب المعاصر يعكس مصالح الناس ومايهتم به الناس من قضاياهم اليومية وشئونهم المختلفة ويعكس كذلك الحركات السياسية والاجتماعية ومشاكل العصر ولكن الادب المعاصر في العالم كله على وجه الاجمال ، وهناك استثناءات قليلة ، لايعلمنا ماهو الخير وماهي العظمة وكيف تكون المواطنة الصالحة .

وهناك ملاحظة لابد منها . الامتياز الادبي والامتياز الروحي امران مختلفان وقد يوجد الواحد ولايوجد الآخر وكما قد تبهرنا العظمة في التاريخ كذلك تدهشنا العبقرية في الادب ، فمعاوية مثلا رجل دولة عظيم ما في ذلك شك ، ولكنه ليس مثالا للصلاح ، واذا اردنا العظمة والصلاح مجتمعين ففي شخصية عمر بن الخطاب . وهكذا في الادب قد توجد العبقرية الادبية مقترنة بالصلاح والخير وقد توجد ومعها الصغار الروحي والصغار الاخلاقي .

الا نستطيع ان ننتج نحن ادبا عظيما في المواطنة وفي الحياة ادبا يجعل الناس افضل واسمى ؟ لما لا ؟ ولكن لذلك شروطا ومقدمات منها .

١ – ان نقرأ خير ما كتب وخير ماعرفت الانسانية من الادب ، فهذا تراث الانسان امامنا وتحت تصرفنا ويجب ان نتمثله ونتغذى به ونضيف اليه ، ويجب الا نضيع وقتنا مع الادب الجيد اذا اتيح لنا الادب الممتاز . فالحياة قصيرة والوقت ولا قليل محل عندنا لادباء الدرجة الثانية والثالثة والرابعة يقول المتنبي ، اذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم ، وفي الادب يجب الا تقنـــع بما دون النجوم والطبقات العلى .

٢ – ان نكون صادقين مقتنعين بصحة مانقول ، فلا ادب بدون صدق وحقيقة وحمية وايمان .

٣ – الا نبالي بالرواج في الاسواق وبالرضا الوقتي والاقبال السريع . ان مانقوله اليوم وما نكتبه الآن يجب ان يكون صحيحا بعد مئة سنة وبعد الف عام ، ويجب ان يكون صحيحا الى آخر الدهر . قال سقراط كلماته الخالدة منذ الفي وثلاثماية سنة وخمسين ، والعالم الراقي يتلقف هذه الكلمات ويرجع اليها ويتدارسها ويتخذها له نبراساً لم يكن سقراط يتوخى رضا آثينا ورضا الجمهور الآثيني . اظن انني الآثيني الوحيد بين الاحياء الذي يمارس الفن الحقيقي للسياسة ، فانا سياسي زماني الوحيد . وذلك لاني حين اتكلم لاتخرج كلماتي للبحث عن الرضا والظفر بالثناء وانما انظر الى الافضل على الاطلاق .

لاشك ان غلوكون واكثر الذين سمعوا كلام سقراط سخروا منه واعتبروه تبجحا وادعاء . ولكننا نحن اليوم بعد الفي سنة وثلاثماية وخمسين نعترف ان سقراط كان اعظم رجل في عصره وربما اعظم رجال الاعصر كلها بعد الانبياء .

٤ – ان نتمسك بالقيم والمقاييس الاخيرة وبالامتياز الحقيقي في الطبيعة والناس . ولعل خير ما انهي به هذا الحديث كلمات بولس الرسول في احدى رسائله الى اهل فيلبي ، واخيرا ايها الاخوة ، كل ماهو حق كل ماهو جليل ، كل ماهو عادل ، كل ماهو طاهر ، كل ماهو مسر ، كل ماصيته حسن . ان كانت فضيلة وان كان مدح ففي هذه افتكروا .

لماذا لا تكون لنا

بقية مانشر على الصفحة (٧)

والنقطة الرابعة هي ان نؤمن بجدوى العمل البشري المثمر ذلك بأن العمل هو أداة الافصاح عن الذات ووسيلة الانتاج المادي الذي هو قوام الحياة والقوة والتحرر . ان التفكير التأملي يظل ميتاً مالم يتجل بالعمل . ولكن العمل نفسه لايكون مثمراً مالم يأت مستجيباً لمقتضى الحاجات المعقولة . ولهذا كان « التعقيل » الصناعي والزراعي مظهراً متكاملا للفكرة وللعمل المرتبط أحدهما بالآخر ارتباطاً لاينفصم . ان خيرات الكون وبركاته هي في متناول الانسان ،ولكن تلك الخيرات والبركات لاترقى الى الانسان مالم تمتد اليها يداه . ولعل من خصائص عصرنا الحديث ان العمل فيه اصبح اعلى القيم على الاطلاق . ولكن المراد بالعمل انما هو العمل المثمر المنتج لا المجرد عن الفرض الذي يطلقون عليه عمل المجان .

أما بعد ، فان التحلي بالفكر العلمي الموضوعي ، والشعور بالاصالة العربية ، والانفتاح على العالم الانساني وممارسة العمل المجدي انما هي نقاط اختيرت من هنا وهنالك . ويخيل الينا ان الوصل بينها ربما تجمت عنه خطوط عريضة لايديولوجيا عربية . ولكن هذه الخطوط مفتقرة ولاشك الى جهود متصلة لاتزال تتعاهدها بالجلاء وبالصقل حتى تجعل منها آخر الامر وجهاً واضح القسمات بين الملامح .

الدكتور حكمة هاشم

العودة

قصة بقلم

علي بدور

حتى ذلك المساء ، لم يكن الافق يعبر عن شيء ، كانت عدة غمامات بيض منتشرة كجناح طائر وكانت الشمس وهي تحاول ان ترقد على الوسادة العريضة ، تعكس صفاء السماء في عيوننا وتدعو الروح الغافية في اعماقنا كي تشهد مولد المساء .

واقبل الغروب يحف به السكون والهدوء ، باعثاً في جمهور الجنود بعضاً من الطمأنينة المشوبة بالحذر ، اذ غالباً ما كانت المتاعب تبدأ مع غروب الشمس ، حيث ينتشر العدو ، على الضفة المقابلة من البحيرة ، في زمر ، تعيد للأذهان قصة اللصوص الذين لا يعملون الا في الظلام كالخفافيش .

كان الى جانبي زميل من رفقاء السلاح جاء توا من اجازته كان يحدثني عن حياة المدينة ، الانوار كعادتها تحكي صنيع النجوم بالسماء ، وكذلك الانسام التي لا تني تهب وسط الحدائق والذين انطلقوا يبحثون عن الحياة وسط زحام الحياة ؛ ووقف طويلاً قبل ان يحدثني عن زوجه وولده .. انه معجب بها ، ولم يكن يظنها قادرة على التجاوب معه وهي التي اعتادت دائماً ان تبدي انزعاجها اذا تأخر في سهرته كثيراً ، فكيف بها اليوم تبدو قادرة على تحمل فراقه عنها شهراً ، بل شهرين ، ولكنه كان في بعض الاحيان يشتاق لرؤية ولده يريدان يضمه بين ذراعيه وان يغرقه بالقبل وان يملأ رئتيه بعبير الطفولة وبشذى الطهارة المنبثقة منها . وخطر لي ان اسأله علني أنقله الى ارض المعركة :

— ماتظنهم يفعلون اليوم .. يامحمود ؟

— الخفافيش .. هؤلاء الذين يحتلون الضفة المقابلة

— نعم .. الخفافيش بالذات

فاجابني والابتسامة على شفتيه :

— نحن مستعدون ، وليفعلوا مايحلو لهم !!

وبدت لي حقيقة المعركة التي نخوضها صامتين ، اذ قلما يسمع صوت الرصاص الصريح والرصاصة الصريحة تبرد اذا كان في الميدان طبع المخاتل ، وهذا شأنهم معنا ، يحاولون جهدهم ان يحطموا اعصابنا ، وان يمزقوا ارادتنا . ولكنهم يرتدون خائبين لأننا لا نساوم على املنا في الانتصار عليهم ، اذ قد تطول المعركة وقد تعاود الخفافيش الظهور ليلاً ، وقد يمزق السكون صوت الرصاص وهدير المدافع ، ولكننا نبصر النهاية المفرحة كما لو كانت امامنا ، على مبعدة عدة خطوات : النصر .. واكاليل الغار وقوافل اللاجئين تعود الى وطنها السليب .

وسألني محمود دون ان يرفع عينيه عن الضفة المقابلة :

— كم كان عدد اللاجئين اليوم ؟

— عشرة افراد . ثلاثة رجال وامرأتان وخمسة اطفال انهم كل ما تبقى من القرية . كان المهاجرون العشرة الذين تركوا قريتهم لا يزالون ماثلين لعيني . وكانوا وهم يعبرون البحيرة في قارب شبه محطم يثيرون في النفس شتى عواطف الحقد والثأر الذبيح . وسألني محمود ثانية .

— وكيف حصل ذلك ؟

— لقد أحاطوا القرية لمدة ثلاثة ايام ، وكان كلما اراد احدهم الخروج من الغرفة التي حوصر فيها اطلقوا مئات الاعيرة النارية ارهاباً ، والقرية واقعة في المنطقة المجردة وخاضعة لاشراف المراقبين الدوليين ، وقد شكا هؤلاء لمراقبي لجان الهدنة حالهم ولكن من سمع لهم .. ولكنهم فيما بعد قد منحوهم الفرصة للهرب فهربوا .. وتركوا ارضهم وغلالهم فلم يجمعوها لقد تركوا كل شيء .. تركوا الوطن يامحمود ، كانت النسوة تبكي ، اما الاطفال فقد محضونا ثقتهم وابتساماتهم ، لعلها كانت عهداً منهم ان لا ينسوا الوطن ، هذه القرية الصغيرة التي تحكي قصة وطن كبير تآمر عليه الاستعمار وقدمه هدية سائغة لدولة العصابات ! !

وقام محمود الى مخزن السلاح لاستلام سلاحه . انه لم يعلق على ما سمعه بكلمة . شعرت انه قد قام مهموماً منقبضاً . قعدت ارقب البحيرة من جديد حتى نهايتها . كانت تلوح من بعيد مظاهر القرية التي هجرها اهلها تباعاً . كنا كل مساء نرقب بعض الاضواء البسيطة التي كان السكان يتخذونها وسيلة لصيد السمك على الشاطىء .. الا ان الاضواء اليوم مطفأة ، وصفحة البحيرة تبدو هادئة ، ماعدا اصوات الضفادع الاخذة في النقيق تلك التي لا تهتم بالضجيج الذي يوشك ان ينطلق فيما حول البحيرة ذلك الذي لابد منه ذات يوم .

كانت صفحة البحيرة لا تزال هادئة ، ولكن عما قريب عندما يجثم الليل على صدرها تبدأ الزوارق التجارية العدوة ، تعبرها شرقاً وغرباً ، لا لشيء . الا لاحداث الضجيج ، ذلك الذي يظنونه يقلقنا ، فاذا انتهوا من عرض الزوارق تبدأ مئات

الاعيرة النارية بالانطلاق ، كأنها تريد ان تسقط النجوم ولكن النجوم بعيدة واحيانا ماتقوم طائراتهم بغارات وهمية على اراضيهم ، حتى يخيل للمرء اليقظ انه يشاهد قصة سينمائية على الشاشة ، مجرد فيلم ولكنه اسود يحكي قصة من اغرب قصص التاريخ الحديث ، ولكن ماذا يفيد ذلك كله ، اننا نعيش اليوم هذا التاريخ كما يعيشه امثال هؤلاء العشرة من اللاجئين بهجرتهم القسرية . بتركهم الديار ومافيها من حلو الذكريات !!

عاد محمود بلباس الميدان . ومعه امر القيام بالدورية المعتادة كنا ثمانية ، انا ومحمود وستة جنود . انطلقنا والظلمة توشك ان تجثم على صدر الكون ، نحو البحيرة لنرصد خطوات العدو ونقطع دابر حركات التسلل ، وبينما كنا نوقب بحذر كل ماتحيط بنا من مظاهر الجماد والنبات سألني محمود :

– اتظن ان الامر سيدوم على هذه الصورة ؟

– اتريد استمرارنا على المعاودة كل يوم ؟

– الى هذا قصدت

انظر الي يامحمود . دعني اوضح لك .. ليس الامر مجرد دوريات ، وهو عدا عن كونه جزءاً من خطة كبيرة ، فان القضية لاتزال عند الحدود التي رسمتها لي قبل ان تنال اجازتك الاخيرة . انها لم تنضج بعد ، وعندما تنضج فسوف ترى هذه البحيرة وقد ردمت بالجثث . ان المدافع الخرساء توشك ان تثور انها تريد ان تتكلم تريد ان تحيي البحيرة تحية المساء الاخيرة تريد ان تشعر الشمس الموشكة على الارتماء في حضن الافق على وسادته الناعمة انها ينبغي ان تستيقظ وان تتسمر في مكانها لتشهد انطلاقة شعب وانتصار قضيته العادلة . ان الشعب يشد ازرنا انه يتجاوب مع جيشه ويمحضه الثقة . ان اسرائيل سوف تغدو خرافة ، عندما يكون الوطن العربي قوياً ، عندما لاتستطيع ان تتمدد كالاخطبوط ، فانها سوف ترحل بشعبها وتترك الوطن لاهله . قد نطلق رصاصنا وقد ندع المدافع تتكلم وقد تطفو الجثث على سطح البحيرة ، ولكن المنعة في الداخل هي وحدها السلاح الحاسم في المعركة الظافرة والا فانهم يامحمود مجانين الى حد يفكرون فيه بأمكان زحزحتنا عـــن مواقعنا ماداموا قد عرفوا ان الجبهة الداخلية أمنع من كل الجبهات العريضة التي تضم ملايين الجنود ، وملايين ادوات البطش والدمار .

كان محمود والجنود يستمعون وكانوا لاينون يرددون بين الفينة والاخرى تعليقاتهم ، واحياناً كانت تروى القصص الطويلة ، من كل منهم ، كان كل واحد فيهم يتحدث عن قريته او مدينته ، عن اقربائه ، وعن اهله . لقد كنا اشبه بالعائلة التي تقدس شعور المرء بالزمالة بينه وبين الاخرين . لقد جاء كل منهم من مختلف انحاء الوطن ليخدم كل مقدساته وكل الافكار والمثل التي يعيش من اجلها ويبذل دمه في سبيلها .

سرعان ما تبدلت صفحة البحيرة الهادئة ، بعد ان اخذت الزوارق التجارية تطارد عدواً مجهولاً لعله الخوف الذي يشعر به العدو حتى اعماقه منا .. صمتنا جميعاً ، بينما كانت تضيء شفتي محمود ابتسامة ممزوجة بالرثاء لهذا الهدير الذي يغطي جريمة العدو التي ارتكبها اليـــوم ، عندما طرد عشرة لاجئين من اخواننا . كان اللصوص على سطح البحيرة يحاولون بضجيج الزوارق ان يخفوا معالم جريمتهم ، ليحيلوا دون سماع اصوات اللاجئين العشرة الى ضمير كل انسان حر في هذا العالم الكبير .

ان البحيرة صورة صادقة عن مسرح جرائمهم .. انهـــا مرآة تعكس ماتنطوي عليه نفوسهم الشريرة . حتى انهم عندما اعتدوا على الاقليم الجنوبي من الجمهورية العربية المتحدة ، اتخذوا من منابر العالم الكبرى ، وسيلة لتشويه الحقائق ، واظهار انفسهم بمظهر المعتدى عليهم !!

وفجأة علا صوت الرصاص . الوف الطلقات ، كانت تحاول اخفاء النجوم ، ولكنها كانت تعود لتنطفيء في مياه البحيرة الباردة .. ان الرصاص . دليل توتر اعصابهم ، دليل صارخ على انهم جبناء ، والا فمن يطلق الان الاعيرة النارية في الفضاء .. دون حاجة .. ان لم يكن غارقاً في بحران من الخوف الساحق !!

ولكن الرصاص سرعان ما غير اتجاهه .. انه اقبل نحونا ، هذه المرة ، لعلها الخفافيش قد عادت من جديد مع الظلام العميق الذي اخذ يجثم على صدر البحيرة ، لتجرب تجربتها التي يحلو لها ان تعيدها بين اليوم واليوم .. وفتحنا نيراننا عليهم ، لقد كنا في حفلة عرس ، كل من فينا كان يعيش اسعد ايام حياته واحفل ساعاتها بالبهجة والنشوة العارمة .. وكانت نجوم السماء ، وقد احست ان في الارض معركة كبرى ، وقد خفتت ، وصفحة البحيرة الساكنة اوشكت ان تتمزق بعد ان اخذت طلقات المدفعية تغرق الزوارق المختالة واحداً اثر واحـد ، وكانت انوارنا الكاشفة على طول الجبهة التي امتدت فيها السنة اللهب ، تنير لنا مواقع تجمعاتهم وحشودهم .. وبدأت البحيرة تنوء بالحمل .. مئات الجثث التي اخذت تطفو والدم ينزف منها

بعزارة ،حتى اوشكت البحيرة ان تغطى بجثث القتلى ، لتغدو جسراً يعبره اللاجئون في العودة الى الوطن دون ان يستعملوا قاربهم المحطم .. وسيعقب اللاجئين العشرة مئات بل الوف .. بل مئات الالوف ،كلها ستدوس على هذا الغمر من الجثث لتعود الى ارضها وبيوتها وغلالها وقبور ابائها واجدادها فتحرسها من جديد .

جاءني محمود في غمرة المعركة والدم ينزف من ذراعه ، والابتسامة العذبة لاتفارق شفتيه وسألني ان اشعل له لفافة ، وابتدرني بلهجة حازمة :

ـ ليتها كانت هنا .. ليته معها

ـ لعلك تقصد زوجتك وولدك ؟

ـ بلى ياصديقي .. زوجتي وولدي ، اريدهم ان يفرحوا بي ، وبدمي ، هذا الوسام الخالد على صدري

فاجبته وانا احاول ان اضمد جرحه الذي لايزال الدم ينزف منه :

ـ ليست زوجتك وولدك فحسب ينبغي ان يكونوا هنا يامحمود ، انما كل شعبنا ، كل اطفالنا .. كل الآباء والاجداد الذين ماتوا قبل ان يشهدوا مفاخر الساعة ، بودي يامحمود ، والبحيرة توشك ان تمتلىء بالجثث ، لو كان حولنا مليون لاجىء ، طردوا ظلماً وعدوانا ، ليروا بأم اعينهم بداية النهاية لمآسيهم وفواجعهم ، وليستأنفوا المسير عائدين الى الوطن على هذا الجسر من جثث الغاصبين .

فأجابني محمود وهو يسحب النفس الاخير من لفافته :

ـ لنضرب بشدة وبعنف ، علنا نستطيع ان نعيد اول مانعيد ، اللاجئين العشرة الى دورهم وأرضهم . ان عودتهم نذير بعودة مليون لاجيء الى الوطن السليب .

من الاصدقاء **علي بدور**

قارىء الدم

بقية ما نشر على الصفحة التاسعة

فأنت من هلع تخض الى المشاش : « هو الدمار » ؟

. . .

اني خبرت الجوع يعصر من دمي ويمص مائي
وعرفت ماقلق الطريد : يكاد كل فم ورائي
يعوي بـ « هاهوذا » ، وتوشك كل عين التقيها
ان يومض اسمي في قرارتها ، وجهلي بالدروب
ولست اسأل عابريها عن بعيد او قريب
من منتهاها ، واكتئابي والحنين مع الغروب
وتوقع المتعقبين خطاي أحسب في صداها
وقع الخطى وأكاد التفت التفاتة مستريب
الا تشد يد على كتفي ... وأوشك ان أراها

. . .

اعرفت ذاك ؟ فسوف تعرف منه دنيا في مداها
تصطف اعمدة عوابس ، ثم تسمع من يصيح
« هوذا يساق الى الحساب » .. كأنما اطرحت رداها
جثث القبور ... كأن صوتاً من لظى حملته ريح
من كل أودية الجحيم : « هوا .... ه ! »

بغداد **بدر شاكر السياب**

أنشودة الرمال

شعر

ناجي علوش

الى الشاعر بدر شاكر السياب صاحب « أنشودة المطر » (من ايام الضياع في الخليج العربي بالكويت) .

مطر
مطر
مطر
عزيزتي
أتعرفين كم أجوع للمطر . . . ؟
وكم احس بالحياة ، بالرضى اذا انهمر
وكم احب ان أراه
يهيم في الجداول
من رعشة الغصون . . من تفتح الزهر
يحدث الصخور والتراب والشجر
ويبذر النماء
في الوجود . . ، والظفر
مطر
مطر
مطر
عزيزتي
قد مر عام
وقد يمر آخر
وما أزال اقطع الفجاج . . ما أزال
احدث الجفاف والسراب والرمال
واحمل الضجر
على يدي كالقتيل في متاهة السفر
ولم يطل سامر
من خيمة
من واحة
يقول : يا مسافر
هذي طريقك التي تريد ، يا مسافر
عزيزتي

لم ألق من اثر
منذ افترقنا للضياء والربيع والشجر
لخيمة
لواحة
مفتوحة لراحل
يدب في المجاهل
ككبرياء قائد أمس قد اندحر
وها انا
يلفني الضياع . . . يستبد بي الكدر
عزيزتي
اني هنا
اجف كالثمر
وكالرياح في الخريف والشجر
مطر
مطر
مطر
وكم اجوع للمطر
للدفء . . .
يا عزيزتي
اذا انهمر
وكركر المزراب فاستجابت الحفر
وامتلأ « البيادر »
وانتشر الزهر
فهومت من الصغار — في لقائه زمر
مطر
مطر
مطر
وكم يجوع حولي الجفاف والرمال

لقطرة
لسائل
يطوف في المجاهل
ويعبر الكهوف والظلام والظلال
أتعرفين كيف احيا ..؟
انني اموت !
اموت كل يوم .. منذ عام
تلحقني
تسحقني
متاهة السكوت
تشدني الى الزوال
أبعادها المخيفة ... المروعة الثقال
تهد فوق كاهلي
تبني رياحها الظماء والملال
عزيزتي
اني أموت منذ عام
اني أجف كالثمر
وكالرياح في الخريف والشجر
لكنني احس ان وحشة الضجر
تنشق عن تثاقل الغمام
تشف عن مطر
مطر
مطر
مطر
سيهطل المطر
ويورق الجفاف والسراب والرمال
ويستريح الدفء ... في الظلال
وينبت الربيع والضياء والشجر
حبيبتي
ألا اذكريني كل عام
اذا ارتوى « البيادر »
ونقط الزهر
ترابنا ، وارتعش الشجر
في روعة اللقاء ، فاستفاقت الحياة
فيك وفي الفلاح والمحراث والنهر
وفي التراب
والسراب
والكدر
مطر
مطر
مطر
الا اذكريني عندما تفتح البشائر
ويترك السلاح للكهوف ثائر
فتعبق المناظر
ويثقل الغصون واخضرارها الثمر
ويستفيق في السهول ، في الحقول السامر
الا اذكريني عندما
تعشوشب المقابر
وتجمع الغلال
ويستوي في الهالة القمر
فيسهد « البيادر »
الا اذكريني عندما
ينهمر المطر
مطر
مطر
مطر

الكويت : ناجي علوش

أسمر

للسيدة نبيهة حداد

وقالوا : احبت . ولا انكر
وقالوا تهيم ولا تصبر
وفي نفسها امل اخضر
وتمضي السنون ولا اشعر
ويغدر بي الجاحد الاسمر
أمن اجل هذا انا اسهر ؟
وتعشى عيوني ، فلا ابصر
واغرس عمري ولا يثمر
وقالوا : ستنسى ، ولا اقدر
وفي داخلي عاصف يهدر
وجرح يثور ولا يفتر .

الأمة في الحدس العربي

بقلم

زكي الأرسوزي

نحاول ان نستجلي هنا الحدس العربي في ماهية الامة ، مستندين في محاولتنا هذه الى مظاهر حياتنا العامة . فنبدأ بايضاح كلمة « امة » وننتقل بعدئذ الى خبرة اجدادنا المتبلورة امثالا في تراثنا ، ثم ننهي اخيراً موضوع بحثنا باظهار الكلمات العربية من حقيقة الامة التي انشأتها افصاحاً عن ذاتها بمثابة الانغام من الهامها في الانشودة .

فأما كلمة «امة» فهي و « الام » ترجعا الى فعل «أم» المصدر المشترك بينهما ، والام في اسرة « أم » هي صورة الامة الحية . فكما ان الام يصدر عنها ابناؤها واليها يجتهون كمنهل للحياة ، فان الامة ايضاً مصدر الاخوة بين المواطنين وغاية ما يصبو اليه الاخوان من امنية . حتى اذا ما استقطبت المعاني المتشعبة من فعل « ام » متقاربة في الذهن انجلى الحدس العربي في الامر بوضوح اتم : الام : الوالدة ، أصل الشيء . الامام : من يقتدى به ، الخط الذي يمد على البناء ليبني مستقيماً ، من يمثل عليه المثال ، الطريق الواضح . الامة : الجماعة ، الطريقة « الخ » هكذا تبدو الامة في الحدس العربي كوجدان قومي تصدر عنه المثل العليا وتقدر بالنسبة اليه قيم الاشياء .

ولكن هل شط الذهن العربي اذا نحا المنحى المثالي في فهم الامة ؟ الا يتفق هذا الذهن في حدسه مع واقع الامر ؟ والا فكيف يفسر الانسجام بين مظاهر الحياة العامة ؟! أبجملة مصادفات سعيدة ثبتها المجتمع بالتربية ؟ ام بعبقرية مبدعة تبدع مظاهرها وتوجهها نحو الحرية ؟ وبتعبير آخر هل الامة مفهوم يبنيه الذهن تلخيصاً لعوامل (تاريخية طبيعية) ؟ ام هي آية (Idèe) اصولها في الملأ الاعلى وتجلياتها الطبيعة كنظام مندرج في بنية الافراد وفي المؤسسات العامة ؟

ان خبرة اجدادنا المتبلورة في الامثال تتفق مع الحدس المتضمن في الكلمة : « الولد سر ابيه » ، « كادت المرأة تلد اخاها » ، « خذوا البنات من صدور العمات » ، « اذا بار الولد فثلثاه للخال .. الخ . هذه امثال يشير كل منها الى ان الحياة تنشيء ، بالغريزة ، الاجداد والاحفاد على مثال مشترك ، تنشيء سماتهم واصول تفكيرهم معاً . ان الولد ينزع لذويه ولو لم يقدر لهم مقابلة بعضهم بعضا .

واذا تعارف العرب في الجاهلية على علم القيافة الذي يقوم على الاستدلال بهيئة الانسان على نسبه ، فقد هدتهم الملاحظة والتجربة الى رسوخ قواعد الوراثة . حتى ان الاسلام نفسه أخذ يهدد الاحكام في الشرع . واليك ما ورد في الصحيح من الحديث فيما يتعلق بهذا الامر .

« ان مجزر الاسلمي دخل يوماً الى الرسول فرأى أسامة بن زيد وزيداً وعليهما قطيفة قد غطيا رؤوسهما وبدت اقدامهما فنظر اليهما مجزر الاسلمي وقال : ان هذه الاقدام بعضهما من بعض .. فسر بذلك النبي وقد فسر الاصفهاني هذا النوع من المعارف بان الله تعالى خص بذلك العرب ليكون سبباً لارتداع نسائهم عما يورث سلب نسبهم وخبث حسبهم وفساد بذورهم وزروعهم صيانة للنسبة .

كان العرب اذا نظروا الى عدة اشخاص الحقوا الابن بابيه والاخ باخيه والقريب بقريبه وميزوا الاجنبي من بينهم « واما حكمة اهتمام العرب بالنسب فنجدها في جواب اياد عندما قيل له : من اين عرفت ان الرجل يدعى لغير ابيه ؟ فقال : لاني رأيته يتكلف ما يعمله ونجدها ايضاً في اقوال مأثورة كهذه « يد الحر ميزان » « انجز حر ما وعد » « بالبر يستعبد الحر » الخ ..

وقد فطن العرب للعلاقة بين ماظهر من الحياة وبين ماضمر فيها من استعدادات فوضعوا علم الفراسة كسجل لخبراتهم في هذا الشأن . وقد ايد القرآن حدس الجمهور بآيات كهذه : « ان في ذلك لآيات للمتوسمين » ، « تعرفهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول » حتى ان العلاقة بين ما نسميه اليوم بـ (تحت الشعور و (الشعور) لم تخف على الذهن العربي .

وليست الزكانة الا المبحث المتعلق بصلة الضمير ...؟ بالوجدان؟... وتبيانا لذلك نقتبس المثال الآتي من كتاب مفتاح السعادة لابن القيم :

حكي عن المهدي انه رأي رؤيا ونسيها فاصبح مغتماً بها فدل على رجل كان يعرف الزجر والفأل والتعبير وكان حاذقاً واسمه خويلد . فلما دخل عليه أخبره بالذى اراده فقال له : « ياامير المؤمنين الى الحركة » فغضب المهدي وقال : سبحان الله احدكم يذكر بعلم ولايدري ماهو ومسح بيده رأسه ووجهه

وضرب بها على فخذه ، فقال له اخبرك برؤياك يا امير المؤمنين : قال هات قال : رأيت كأنك صعدت جبلا ، فقال المهدي : لله ابوك ياسحار ، صدقت ، قال ماانابسحار يا امير المؤمنين غير انك مسحت بيدك على رأسك فزجرت لك بنزولك الى ارض ملساء فيها عينان مالحتان ثم انحدرت الى سطح الجبل فلقيت رجلا من فخذك ، قريش ، لان امير المؤمنين مسح بعد ذلك بيده على فخذه فعلمت ان الرجل الذي لقيته من قرابتك قال : صدقت »

ونحن نضيف خبرتنا الشخصية الى خبرة اجدادنا في هذا الشأن فلما سرحت من وظيفتي كمدرس من قبل سلطة الانتداب سنة ١٩٣٤ لجأت الى القرية حيث كانت تقيم والدتي وكنت واياها نتبادل الحديث في الليالي الممطرة ، وكم كانت دهشتي عندما رأيت تأملاتي تلتقي مع حدسها في امهات المسائل . فلم تكن دراستي المديدة الا سببا لاستجلاء الحدس المشترك بيننا ، الحدس المنطوية عليها نفسانا ولذلك فاني اعتقد بان الاختلاف بين فرد وفرد من ابناء الامة انما هو اختلاف بدرجة الوضوح في الامور المتعلقة بالاصول ، فما هو حدس مبهم عند الجمهور يتحول الى بصيرة نيرة عند القادة . وذلك مايحمل على الاعتقاد ايضاً بان مايتجسد من شبه بين الافراد المنحدرين من ذات الاصول ، وبين مايظهر من انسجام في المؤسسات العامة يرجع الى آية الامة المتحققة عبقرية في الطبيعة ، يرجع الى تجربة الاجداد المثلى في اصول الحياة ، وليس التاريخ الا سجل هذا التحقق كمصير حصل من انتصارات الحياة على القدر .

تظهر العبقرية العربية بوضوح في انسجام مؤسساتنا العامة وفي انسجام كلماتنا التي تقوم هذه المؤسسات على استجلاء حدسها . اليس من الغرابة بمكان ان تكون هذه الكلمات قد وضعت في عصور متفاوتة وفي اقاليم متباعدة وهي مع ذلك ذات انسجام بالمعنى ؟ انه يخيل للمتأمل فيها انها وجوه مختلفة لذات العبقرية . واليك بعض ماورد بهذا الصدد في كتابنا « العبقرية العربية في لسانها » :

« تبدو الامة البدائية في الكون حاملة سيماءها بصورة مجملة فتتفتح عنها بتجاوب تجلياتها بين قطبيها : قطب ترتسم به في بنية ابنائها معرفة متبلورة وفي الكون عالماً تنعكس عنه الطبيعة محددة امكانية ادراكهم . وقطب آخر ترتقي اليه النفوس من خلال هذه التجليات المستشفة في تساميها ببوادر ذاتها »

وايضاحاً لما تقدم نورد هنا بعض الامثلة المقتبسة من لساننا فكلمة « نب » مثلا المؤلفة من حرف « نون » و « باء » تعبر بحسب مخرج كل من حرفيها عن الصميم «بالنون» وعن الظهور - «بالباء » وبجملتها تفيد الانتقال من الداخل الى الخارج في الظهور - التعالي . وعند التحليل تظهر جميع الكلمات المنتسبة الى اسرة هذا الحدس - اتجاهاته الاساسية :

١ - لما كان الصوت ابرز مايخرج عن صميم الانسان فان اكثر المصادر قد تضمنت مشتقات تشير اليه : نب التيس : صاح، نبأ : صات خفيفاً ، النبأة او النبوءة : الصوت الخفي او الهاتف ، نبح : كان شديد الصوت جافي الكلام ، نبح الكلب : صات ، النبخة : النكتة ، نبر المغني : رفع صوته بعد خفض ، نبس بالمجلس : تكلم . انتبض القوس : جذبها ليصوت بها ، انبط الكلام : استخرجه ، نبغ الرجل : قال الشعر واجاده .

٢ - هنالك اتجاه آخر تظهر على الخصوص الصور الحسية والخيال الذي انشيء منها وهو الصعود والتعالي : نبأ الشيء : ارتفع ، النبيء : المكان المرتفع ، نبت : نشأ ونما من الارض ، نبى فلان : غضب ، ظهرت كوامنه ، النبخة : الاكمة ، نبخ العجين : اختمر وارتفع ، الارض النبخاء : المرتفعة ، المنبوذ : الولد الذي تلقيه امه ، نبز الغلام : ترعرع ، نبز الجرح : تورم ، النبص : القليل من البقل اذا طلع ، نبق الشيء : خرج ، نبك المكان : ، النبكة الارتفع : اكمة ، النبأة : المرتفع المشرف ، النبيء من الارض : ما ارتفع منها ، النبوء : العلو والارتفاع .

٣ - ولما كانت الصورة الصوتية البدائية بيانية ونشأتها انسانية فان الحدس يتفرع الى المعاني الاصلية الآتية : النبوة والنبي وصورته الحسية : الطريق الواضح والمكان المرتفع ، والنبوغ والنابغ وصورته الحسية : غبار الرحى الدقيق ، والنبل والنبيل وصورته الحسية : النبال والسهام (والفروسية) النباهة والنبيه / اليقظة من النوم والشرف .

يبدو التوافق في الامثلة المتقدمة بين المعقول والمحسوس دقيقا والانسجام في معانيها شاملا رغم ان هذه الكلمات قد ابدعت في عصور متفاوتة وفي اقاليم مختلفة ؟!

فكأن هنالك عبقرية قد انطوت عليها نفوس ابناء هذه الامة كافة فعبر كل منهم عنها من وجهة نظره الخاصة وهم منها يستمدون نسغهم واليها يصبون كمثل اعلى وبها تنسجم ثقافتهم (بنيانهم الانساني) مع الميول التي تضمنتها نفوسهم .

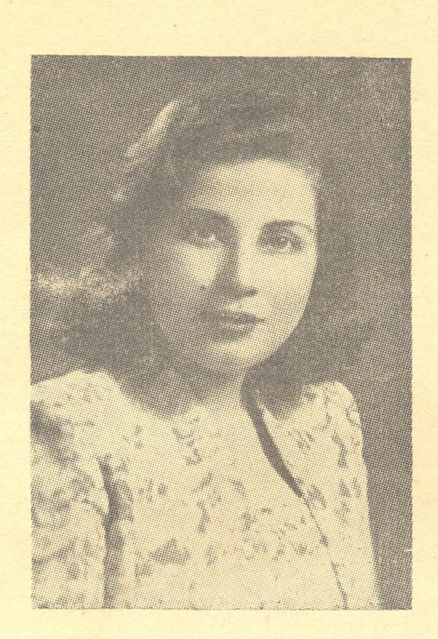
ويؤخذ من هذه الامثلة ايضاً ان الحدس فيها تتقدم على الصور الحسية والمفاهيم العامة التي تحاول التعبير عن اتجاهاتها

البقية على الصفحة « ٢٧ »

نداء الأمومة

شعر

السيدة عزيزه هارون



الى الطفلة المحرومة من الحنان الى التي نادتني ماما وتعلقت بي دون معرفة سابقة الى من فجر نداؤها في نفسي ينابيع حب عميق كنت اجهله الى ساميه الطفلة الشاحبة الملهمة التي عصرت قلبي بندائها الحنون فكانت هذه القصيدة :

انا ماما يابنية هكذا ناديتني

فأنتشت بي آه في كل خبيه

ياسخية أنت اغليت الهدية

انت اترعت كؤوسي بالنداءات الغنية

فأنا مثلك ظمأى يابنية

اغمر الدنيا بحبي كل دنياك بقلبي

فتعالي لينابيعي وخصبي

ماالذي ادناك مني أعلمت

ان في قلبي نبعاً فوردت

فارشفي ماشئت من قلبي حنانا

يرتوي قلبي اذا انت رشفت

وابتسمت

انت عطشى للنداءات الحنونة

وانا ام حنونة

ضعت في قلبي وغيبت شجونه

كم معان لك في قلبي غريقة

في دمي منذ الخليقة

يابنتي انت اغاني الرقيقة

ان في عينيك الاماً وفي قلبي الام تغني

انت مني لوعة الشوق وآهات التمني

انت آيات يقيني انت اشراقة ظني

الشحوب الحلو في وجهك لهفان معنى

حائر في عتمة الدرب حزين يتمنى

فتعالي لفوآدي فيضوع الشعر منا

انت في عينيك انت

لوعة في لون صمت

انت من اعماق احلامي ضعت

في متاهات الدياجي كم صرخت

اين ماما

ان ماما في ضلوعي ودموعي

اغمريني بالدلال الطفل تغمرك حياتي

انا عطشى للهوى النشوان في اعماق ذاتي

للجنان الثر يرويني ويروي لهفاتي

اغمريني فأنا مثلك عطشى يا فتاتي

انا ام الف دنيا بالنداء الحلو تبدو

وزهيرات نضيرات على الالحان تعدو

شادبات بالنداء الحلو والفرحة تشدو

انا ام رددي هذا النداء

ردديه

انت فيه

نغمات ورداء

انا ام وتجلى الله في نفسي

ورويت الهوى والكبرياء

هذه الروح وهذا الحسن من روحي

ففي روحي كنز من ضياء

المرحلة الاولى

المقاومة الجزائرية

قصة الثورة العربية في الجزائر

بقلم

عثمان سعدي

كانت الدولة الجزائرية في القرن السابع عشر والثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر ، تتمتع بقوة هائلة جعلت اعظم الدول في ذلك الوقت - ترهب جانبها ، وتقرأ لها الف حساب ، فقد كان لها اسطول قوي سيطر على البحر المتوسط طيلة ثلاثة قرون كاملة - ، واضطرت أعظم الاساطيل في ذلك الوقت - وعلى رأسها اسطول ملكة البحار - بريطانيا - الى دفع رسوم المرور في حوض البحر المتوسط وقوة الاسطول الجزائري هي التي اخرت تاريخ احتلال الجزائر الى سنة ١٨٣٠ . فقد حاول الانجليز والاسبان والهولنديون والفرنسيون غزو الجزائر في القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر ولكن محاولاتهم كلها باءت بالفشـــل وتحطمت اساطيلهم على صخرة مقاومة اسطول الجزائر وشعبها العربي .

وفي سنة ١٨٢٧ تحطم الاسطول الجزائري في موقعة (نافارينو) وهو ينجد الاسطول المصري . نعم لقد تحطم الاسطول هذا الاسطول العربي الذي جعل المؤرخين الاوربيين يطلقون على البحر المتوسط (البحيرة الجزائرية) ، تحطم هذا الاسطول الذي كان درعا للجزائر بـــل وللعرب كلهم . الم يضرب ميناء طولون العسكري في فرنسا انتقاما لعرب مصر من حطة نابليون « الم يتحطم وهو يحاول فك الحصار الذي ضربته الاساطيل الاوربية حول اسطول عربي ؟.

وبعد ثلاث سنوات من تحطيم اسطول الجزائر ، وفي ١٤ يونيو ١٨٣٠ نزلت الحطة الفرنسية بشبه جزيرة سيدي فرج ، تحت قيادة الجنرال (بورمون) وتقابل جيش الاحتلال مع الجيش التركي الرسمي في المسافة التي تصل شبه جزيرة سيدي (فرج) بالعاصمة ، وهزم الجيش التركي هزيمة منكرة ، بسبب التناقض الموجود في داخله فقد اسند الداي حسين « قيادة هذا الجيش لصهره الاحمق المغرور القصير النظر ابراهيم باشا الذي رفض الاستفادة من خبرات بعض ضباطه امثال احمد باى .

ولم تدم مقاومة الجيش الرسمي التركي اكثر من عشرين يوما ، فقد سقطت مـدينة الجزائر يوم ٤ يوليو ١٨٣٠ وعلى اثر سقوطها عزل الداى التركي ، ورحل مـع اسرتـه خارج حدود الجزائر .

وتوهم قائد الحملة الفرنسية ان سقوط مدينة الجزائر يعني نهاية المقاومة الجزائرية فأرسل رسالة الى ملكه شارل العاشر يهنئه فيها بالسيطرة التامة على البلاد .

ولم تكد تمر عشرون يوما على تاريخ هذه الرسالة حتى وقع هذا القائد الفرنسي مع فرقة من جنوده في كمين نصبه رجال المقاومة الشعبية بجبال بليدة ، وسحقت فرقته بأكمها ولم ينج من الموت سوى القائد المذكور مع بضعة من جنوده وعلى اثر هذا الكمين صرح القائد الفرنسي بقوله (الآن فقط بدأت متاعبنا)

عندما يئس الشعب العربي في الجزائر من مقاومة الجيش التركي الرسمي ، بـــدأ يجمع صفوفه ويتكتل حول بعض الشخصيات الشعبية امثال عبد القادر ويتخذ من جباله الصعبة متاريس ومخابىء ، ثم يشن هجوماته المتوالية على جيش العدو .

ان مقاومة شعب الجزائر العربي لجيش الاحتلال تعتبر من الروائع الخالدة في تاريخ النضال العربي ومقاومة الشعوب فقد استمرت هذه المقاومة من ١٨٣٠ الى ١٩٠٣ سقطت البلاد خلالها شبراً .. شبراً .

اما العنصر الديناميكي الذي لعب دوراً فعالاً في المقاومة فهو الفلاح الجزائري كانت الخمسة اسداس من البلاد الجزائرية المستقلة عن حكم الاتراك ، تتمتع بديمقراطية سياسية وبعدالة اجتماعية ، موزعة بين جمهوريات قبلية تضمن للفرد حياة حرة كريمة وان كانت بسيطة ساذجة . وكان نظام ملكية الارض الجماعية هو المطبق في هذه الجمهوريات فالفرد والاسرة لهما حق الاستثمار وليس لهما حق الملكية ، لان الارض ملك للقرية . يعتبر هذا النظام نوعاً من الاشتراكية في ابسط صورها ، لانه لا يبيح بيع الارض ويحول دون تركيزها بين ايدي المضاربين ، او نشوء الاقطاعية .

وهذا النوع من الملكية العقارية هو الذي جعل المقاومة الجزائرية لجيش الاحتلال تطول فالفلاح في الجزائر عندما يقاوم يشعر انه يدافع عن ارضه لا عن ارض اقطاعي معين .

(١٨٣٠ - ١٩٥٧)

ولعل احدكم يتساءل في قرارة نفسه لماذا فشلت هذه المقاومة بالرغم من شدتها وطول نفسها والجواب :هو تجزئتها وعدم وجود قيادة مركزية توحد بن هذه الطاقات الشعبية المبعثرة وتوجهها الى صدر العدو . فكل قرية كانت تدافع عن اراضيها بمفردها دون ان تكون جبهة مع القرى المجاورة لها .

لقد حاول الامير عبد القادر خلق جبهة شعبية قوية ولكنه فشل بسبب الاوضاع التي خلفها الحكام الاتراك ورواءهم لقد عمل الاتراك - طيلة حكمهم على تمزيق الوحدة الشعبية التي رأوا فيها خطرا يهدد حكمهم واستغلالهم .

وسكتت المقاومة ولكن التضحيات التي قدمها الشعب اثناءها لم تذهب سدى فقد بقيت هذه التضحيات تعتمد الروح الوطنية بطاقة الحياة لقد سكت الشعب ولكن سكوته كان أشبه بالهدوء الذي يسبق العاصفة . ولم ينكر بعض الفرنسيين الصرحاء هذه الحقيقة فقد كتب البارون لاكوية في كتابه (رأى في الاستعمار الفرنسي) سنة ١٩٣١ مايلي : (طالما تحتفظون بالجزائر فستكونون في حرب مستمرة مع افريقيا وقد يبدو في بعض الاحيان ان هذه الحرب قد انتهت الا ان ذلك لن يقلل من كره هذه الشعوب لكم . سيكون انتهاؤها بمثابة نار لم تنطفىء تماما بل تبقى حية تحت الرماد وفي اول فرصة سيندلع لهيبها لينقلب الى حريق مدمر »

المرحلة الثانية (١٨٧١ - ١٩٢٥)

الكفاح السلبي (السياسي)

سبق ان تكلمنا عن المقاومة المسلحة التي ترجع الى قاموس الكفاح الايجابي والتي قام بها الفلاح في الجزائر .

بدأت شمس المقاومة المسلحة تنحدر نحو الغروب بعد ثورة مقراني والشيخ حداد سنة ١٨٧١ وما ان حلت سنة ١٩٠٣ حتى سكتت المقاومة . وبسكوتها اختفى الفلاح - بطل هذه الملحمه - من الميدان .

ويرجع تاريخ الكفاح السلبي الى عهد الاحتلال ففي الوقت الذي كان عبد القادر يقود جيش المقاومة ضد جيش الاحتلال كان (بودربة) يؤسس منظمة سياسية في العاصمة ويطالب بحقوق عرب الجزائر المشروعة ويعزز بذلك مقاومة عبد القادر . والى جانب (بودربه) وجد رجل آخر يدعى احمد بن عثمان خوجه) له ثقافة فرنسية واسعه ، وله جولات بأوربا واطلاع على معالم المدنية الجديدة ، وقد قام هذا الأخير بنشاط سياسي ملحوظ في العاصمة ضد الحكم العسكري وترك لنا كتابا يعتبر مرجعا هاما في تاريخ الجزائر اثناء الحملة الفرنسية .

واشتد كفاح المدن احيانا حتى اقترب من الاجابية : كان ابن عمر خائنا من مخلفات الاتراك ، استغله الفرنسيون وحاولوا تعيينه بايا في مدينة مدية فطرد منها فحاولوا تعيينه في مدينة بليدة فطرد منها مرة ثانية فحاولوا تعيينه مرة ثالثة في مدينة (شرشال ولكن سكان هذه المدينة رفضوه ايضا . ويروي لنا المؤرخ الفرنسي (روسي) قصة ترحيله الى شرشال وهذا نصها (عندما صممت الادارة الفرنسية على ترحيله الى شرشال عن طريق البحر رحلته بالقوة تقريبا . ووصل المسكين امام عاصمة ولايته فاخبروه في الميناء بان سكان (شرشال) يريدون به شرا ، وانه اذا ماوضع قدمه في المدينة المذكورة فان مصيره سيكون (الموت الاكيد) وانتهى المطاف بهذا العميل الاستعماري في مدية حيث سلمه سكانها لعبد القادر بعد ان ظل اربعة اشهر كاملة مختبئا في (متمور) تحت الارض ويذكر لنا « روسي » هذه النهاية بقوله : « اقتيد هذا المسكين مقيد اليدين من مديه الى لميانه ، ومنها الى معسكرات عبد القادر حيث سفر هذا الى مكناس ومن هناك اركبوه على حمار وجعلوا وجهه في اتجاه ذنبه ثم داروا بـــه كل البلاد وشعر رأسه متدل وذقنه وشاربه محلوقتان)

هذه حادثة من الحوادث الكثيرة التي تكشف عن نضال المدينة ايام الاحتلال .

كان نضال المدن يتبع دائما الاوضاع الاجتماعيه للشعب فقد جاء مجزءا ينقصه التماسك والتنظيم في اول حياته نشاط يقوم به افراد في مختلف المدن دون ان توجد اية رابطه بين خطط هذه الافراد . والسبب انعدام الفعاليه من هـــذه الحركات السياسية عدم وجود وعي عند زعمائها ، فالطبقة البورجوازيه الصغيرة - الحامله للواء الثقافة والنضال السياسي في كل البلدان المتخلفة - فرق الاستعمار شملها في الجزائر ، وحل كيانها منذ ان وضع اقدامه على ارض البلاد . فعمليات اللصوصية التي قام بها جيش الاحتلال جردت هذه الطبقه من املاكها وقضت على مواردها الرئيسية فاضطرت عشرات من عائلاتها الى الهجرة خارج البلاد الجزائرية . فقد ذكر (البارون بيكون) ان العاصمة فقدت الثلثين من سكانها الاصليين) ويقول اوغسطين بيرك ان العنصر الغني من العائلات الجزائريه هجر العاصمة) والمعروف ان التجار هم الذي يكونون العنصر الاساسي للطبقة البورجوازيه ، في البلدان المتخلفة . وهاهو اوغسطين

بيرك يحدثنا عن التجار الجزائرين في كتابه (البورجوازيه الجزائريه) ان سرعة ازدياد عدد السكان الاوروبين بالجزائر تسبب في خراب التجارة الوطنية: فهجرة الاغنياء المسلمين انقصت البيع والارباح، وتهديم المساكن القديمه لشق الطرق وتوسيعها، وارتفاع ايجار المساكن، وجهت كلها ضربات قاتلة الى التجار الجزائريين).

اذا فتلاشي الاغنياء والتجار بالجزائر نتج عنه فقدان البورجوازيه الجزائرية لكيانها الطبقي وعدم استطاعتها القيام بدورها التاريخي.

ولعل المدينة الوحيدة التي حافظت على تماسك عائلاتها البورجوازيه هي مدينة قسنطينه لان قائد المقاومة الرسمي بهذه المنطقة احمد باي التركي الجنسيه - الذي لم ينبع كما نبع عبد القادر من الاوساط الشعبيه اعتمد في مقاومته لجيش الاحتلال على العائلات الاقطاعيه وهذا هو الذي جعل مقاومته تتلاشى بسرعة. اما عبد القادر القائد الشعبي فقد كان يؤلف الجيوش لمحاربة جيش الاحتلال من ناحيه ويقيم دولة جزائريه على اسس عادلة من ناحيه اخرى فيحطم الاقطاع ويبني المصانع الحربية ويكون تبادلا تجاريا مع اسبانية وبريطانية، ويعمل على توحيد البلاد.

وما ان دخل الفرنسيون مدينة قسنطينه - بعد ان ناضل سكانها نضالاً سوف يبقى خالداً على مر الايام - حتى وجدوا الجو يمكنهم من السيطرة على الاوضاع في هذه المنطقة. فقد رحبت العائلات الاقطاعية بالتعامل معهم في تسيير دفة الحكم في منطقة قسنطينة. ويقول اوغسطين برنار «ان العائلات الاقطاعية» كانت تكون نقطة الانطلاق في نشوء علاقات بين الفرنسيين وبين العائلات الكبيرة في كل منطقة قسنطينة).

وبالرغم من ان الاستعمار الفرنسي استغل البورجوازية القسطنطينية في السيطرة على البلاد، فان هذه الطبقة سوف يكتشف بعض ابنائها انفسهم، ويضعون ايديهم على دورهم التاريخي ويفتحون عهداً جديداً للنضال السياسي الجزائري سوف يتمخض فيما بعد عن الحركة الثورية في الجزائر.

وفتح ممثلو عرب مدينة قسنطينة هذا العهد في سنة ١٨٧١ بتقديم اول عريضة سياسية الى السلطات الفرنسية، وهذه العريضة التي وقع عليها ١٧٠٠ جزائري تعتبر اول موقف حازم يتخذه الممثلون الجزائريون ضد خطة الادماج التي بدأ الاستعمار الفرنسي في تطبيقها.

ان الدلالة العميقة التي تشير اليها هذه العريضة، ويرمز اليها هذا العمل السياسي البسيط في مظهره - هو ان بورجوازيين قسنطينة بدأوا يتحدثون، لا بأسم مدينة بعينها، وانما بأسم الجزائر كلها.

واستمرت هذه الحركة السياسية في تطورها التدريجي حتى سنة ١٩٢١ حيث ظهر في الافق الجزائري اول (زعيم سياسي بدأ يضع الاسس الاولى للمنظمة السياسية) ويمنح الفعالية للنشاط السياسي. ولم يكن هذا الزعيم سوى الامير خالد - احد ابناء بطل المقاومة الامير عبد القادر.

كان الامير خالد ضابطاً في الجيش الفرنسي وكان يلاحظ منذ صغره - الحياة الشاقة التي يحياها ابناء وطنه تحت حكم الفرنسيين، فتحرك شعوره الوطني وراح يعمل على التخفيف من حدة هذه الحياة الشاقة، في نطاق طبقة البورجوازية الناشئة ويقول الاستاذ مصطفى الاشرف في المجلة الفرنسية (الازمنة الحديثة): (ان الامير خالد جمع حوله المواطنين والمحامين والمدرسين والاطباء والنواب البلديين لتحقيق مطالب متواضعة والحقيقة ان الاوضاع والظروف التي كانت تعيش فيها الجزائر سنة ١٩٢٠ هي التي دفعت خالداً الى تلك المطالب البسيطة التي لا تتجاوب مع حقيقة اماني الشعب. ذلك ان المقاومة في الريف كانت قد لفظت آخر انفاسها وانطفأت شعلة النضال في ابنائها وفي المدن لم يبق، الا الموظفون والممثلون ليقوموا بالدور النضالي.)

(مصطفى الاشرف عدد اكتوبر ٢٤٧)

الا ان ضعف الطبقة الجزائرية المتوسطة الناشئة وعدم تماسكها وانعزالها عن الطبقات الكادحة طبع دورها في تاريخ الكفاح الجزائري بطابع الميوعة واللافعالية.

ولم تكد تمض شهور معدودة على بدء نشاط خالد حتى خاتله ابناء طبقته، واعلن سخطه عليهم في عبارته المشهورة: (منذ ٩٥ عاما وهؤلاء العبيد (البورجوازيون) يتحكمون كالسادة في الجزائر. ولا تنسى ان هذا الجيل المثقف الحالي قد ولد تحت نير الاستعباد وربي في مدرسة الاستعمار الذي علمه مبادىء الطاعة العمياء. ولسوء حظي.. فان هؤلاء لايملكون الوسائل التي يحاربون بها جيش الرأسماليين وكبار الملاك المستعمرين الذين جمعوا بين ايديهم الذهب والسلطة)

وبعد خبرة سياسية طيلة يئس خالد من البورجوازية

الجزائرية وركز آماله كلها في تحرير الجزائر على القاعدة الشعبية على الطبقة الشعبية الكادحة على الفلاحين والعمال فقد قال « ان الجماهير تئن تحت وطأة شديدة من الظلم والاضطهاد » فيجب عذرها اذا هي لم تتحرك ولكن هذه الجماهير الجاهلة السلبية الآن هي التي ستقوم في الغد القريب بدور تحرير نفسها .

المرحلة الثالثة (١٩٢٥ - ١٩٥٤)

« عهد جديد »

وتحققت نبوءة خالد فلم يكد يغادر ارض الوطن الى منفاه حتى تكونت منظمة (نجم شمال افريقيا) في باريز بين اوساط العمال الجزائريين . وتاريخ تكوين هذه المنظمة يعتبر انبلاجا لشمس الحركة الوطنية الجزائرية ، ومرحلة جديدة للكفاح الجماهيري الشعبي فلاول مرة في القرن العشرين تتحرك القاعدة الشعبية في الجزائر ـ من جديد فمنذ نهاية حرب المقاومة وثورة ١٨٧١ كان الموظفون المثقفون فقط ، هم الذين يقومون بذلك الدور الضعيف الدور الاصلاحي .

ونشؤ هـذه الحركة في فرنسا وسط الحركات النقابية الاشتراكية ، جعلها تتأثر ببعض التيارات اليسارية وتأخذ منها فعالية النضال . يقول الاستاذ مصطفى الاشرف : (كان نجم شمال افريقيا) يضم اتجاهات كثيرة اهمهـا اتجاه ماركسي سطحي ، ووطني انفعالي ـ عاطفي • واسلامي غير متبلور) واستمرت الحركة من سنة ١٩٢٥ ـ حتى ١٩٣٣ رغم تعرضها لهجمات الاستعمار وضعف قيادتها وفي هذه السنة عقدت هذه المنظمة مؤتمراً اتخذت فيه هذه القرارات التالية .

١ ـ التثبت بمبدء الاستقلال العام

٢ ـ انتخاب مجلس تأسيسي

٣ ـ انتخاب جيش وطني

٤ ـ تسليم جميع المرافق الاقتصادية والمنشآت العمرانية والموانيء والمناجم التي سيطر عليها الفرنسيون الى الدولة الجزائرية.

٥ ـ مصادرة الملكيات الكبير التي استولى عليها المستعمرون واذنابهم ، والشركات الرأسمالية وتوزيع هذه الملكيات على الذين يزرعونها واحترام الملكيات الصغيرة والمتوسطة .

٦ ـ تعترف الدولة الجزائرية للعـمال الجزائريين بالحق النقابي في الاضراب .

واصدرت هذه المنظمة (جريدة نجم شمال افريقيا) للدفاع عن حقوق الجزائريين المشروعة ، وقـد صادرتها الحكومة الفرنسية سنة ١٩٢٩ ولكنها ظلت تصدر سراً حتى سنة ١٩٣٣ حيث اكتشف امرها وزج برئيس تحريرها في السجن .

وفي ١١ مارس ١٩٣٧ تكون حزب الشعب الجزائري ، المدرسة الثورية التي تخرج منها قادة ثورتنا الحالية فبالرغم من سطحية وغموض مفاهيم زعماء هذا الحزب للمباديء الثورية في ذلك الوقت فانه بقي محافظاً على بعض مباديء نجم شمال افريقيا كالفعالية وكالروح النقابية ، والاتجاه الثوري ، والمطـالبة بالاستقلال التام .

ومنذ تأليف هذا الحزب وهو يتعرض لموجات متتالية من الضغط والاضطهاد الاستعماريين ، كانت السلطات الفرنسية تهاجم مراكز الحزب ـ بين آونة واخرى ـ فتصادر نشراته وتحل جهازه وتلقي بزعمائه في غيابات السجون .

واحاطة هـذا الحزب بهذا الجو الارهابي جعله يلجأ الى التنظيم السري في بنائه الحزبي ويزداد في كل يوم ايمانا بمبدئه الثوري الجذري الا وهو العمل على اخذ استقلال الجزائر من ايدي المستعمرين عن طريق الثورة المسلحة .

واضطهاد السلطات الاستعمارية لزعمائه وملاحقة كل المنتمين اليه جعلا الشعب يعتبره رمزاً للوطنية والتضحية ، وجعلا الشباب يجد فيه متنفسا لطاقاته التي كبتها الحرمان وخنقها الفراغ وهكذا لم تنتم الى هذا الحزب سوى الطبقات الشعبية الكادحة التي لا تملك مصالح تخشى عليها كالموظفين الصغار والعمال والفلاحين . . اما البورجوازية من ملاك وموظفين وتجار كبار فقد وقفوا من هذا الحزب وقفة الحذر والحيطة ، والتجأوا الى الاحزاب والهيئات المعتدلة كحزب البيان وجمعية العلماء المسلمين ، محافظة على مراكزهم بين الاوساط الشعبية .

وجمعية العلماء المسلمين هذه اسست على يد عبد الحميد بن باديس سنة ١٩٣٨ لتنقض الجزائر من خطة الفرنسة الاستعمارية ولتحافظ على شخصية الجزائر العربية ، وعلى الاسلام الذي لعب في المغرب العربي دور المحافظ على هـذه الشخصية . والمبادىء التي وضعها ابن باديس مبادىء شعبية صحيحة تعتبر فتح المدارس العربية ونشييد المساجد الحرة كوسيلتين لبث الوعي السياسي بين صفوف الشعب الى ان يجيء الوقت المناسب للتخلص النهائي من السرطان الاستعماري ، الا ان بعض خلفاء ابن باديس انحرفوا عن جوهر مبادئه ولم يحافظوا سوى على شكليتها وصاروا ينظرون لبناء المدارس والمساجد على انه غاية في حد ذاته ويرددون قولهم

(قبل ان نطالب بالاستقلال يجب ن نتعلم) ولا يخفى عليكم ان هذا الطريق طويل وغامض وغير مأمون العواقب .

واستمر حزب الشعب في اعداد الشباب للمعركة الفاصلة الى ان حلت سنة ١٩٤٥ حيث اصابت مؤامرة (٨ مايو الاستعمارية) الحركة الوطنية بانتكاسة فقد زج على اثرها بكل الزعماء السياسيين في السجون وفي ١٩٤٧ افرج عن هؤلاء الزعماء بعد ان زعزع ايمان البعض منهم بالفكرة الثورية . وتسربت الافكار المعتدلة الى الميدان السياسي وبدأت عناصر البورجوازية حملة هـذه الافكار تسيطر على القيادة الحزبية) ولم تقتصر هذه السيطرة على (حزب البيان) البرجوازي الصرف اوعلى جمعية العلماء التي تعتمد في تكوينها على العائلات البرجوازية ، بل امتد الى حزب الشعب الجزائري واصبح لهـذا الحزب جناح رسمي يدعى (حركة انتصار الحريات الديموقراطية) يسيطر عليه ابناء العائلات البرجوازية : المحامون والاساتذة والاطباء وجناح سري يدعى (المنظمة الخاصة) التي بقيت محافظة على الاتجاه الثوري لحزب الشعب وهو الايمان بالاستقلال وبالثورة المسلحة كوسيلة له .

وهكذا ظهرت البرجوازية الجزائرية في الميدان مرة ثانية - منذ ايام الامير خالد - وراحت تتبع طرقا علمية في الكفاح كالمشاركة في الانتخاب والاحتجاجات والمطالبة باصلاحات مائعة واستمرت قيادة هذه الطبقة من سنة ١٩٤٧ الى سنة ١٩٥٣ حيث بلغ تفسخها القمة .

والسبب في فشل البرجوازية في قيـادة الكفاح السياسي راجع الى عاملين .

اما العامل الاول فيرجع الى طبيعة البناء العضوي للاستعمار الفرنسي فهو استعمار يتغلغل الى ابسط مظاهر الحياة الاجتماعية للبلدان التابعة لنفوذه ، ولا يترك البورجوازية مجالا للمساهمة في تسيير دفة الحكم بهذه البلاد وهذا يجعل التخلص منه لا يكون الا بثورة تقلب الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية راسا على عقب اما الاستعمار الانجليزي فبناؤه العضوي بناء فوقي يحكم البلاد بواسطة جماعة من سكانها وهذا هو الذي جعل البورجوازية المصرية مثلا - تقوم بدور فعال في تاريخ الحركة الوطنية وتنجح في توصيل سفينة الكفاح الى شاطيء السلامة .

واما العامل الثاني فهو عدم مرونة البورجوازية الجزائرية في مسـايرة سنة التطور وجمودهـا وسط الطريق الذي رسمته لكفاح الشعب العربي بالجزائر في سبيل استقلاله فقـد اصبحت - لهؤلاء الزعماء - مصالح ادبية ومادية مرتبطة بالنشاط السياسي . ولم يستطيعوا التغلب على انانيتهم ، ومصالحهم الشخصية فيغيرون في اتجاهاتهم وفي طرق كفاحهم .

الامة في الحدس العربي

بقية ما نشر على الصفحة «عشرين»

الاساسية كتقدم الميل على الاشياء (حاجاته) التي تحققه فيحدد انتباه الفرد ويوجه اختياره فيكشف عن قرارة الحياة المرتسمة على الكون بآثاره

تلك هي الامة العربية عبقرية ابدعت أداة بيانها فافصحت بهذا الابداع عن حقيقتها . توحي كلماتنا بحقيقة امتنا كما يوحي انسجام الالفاظ في القصيدة بالفنان الذي ابدعها . ولما كان صرح مؤسساتنا قد شيد من قبل اعلام امتنا باستجلاءهم ما ضمر في كلماتنا من معنى جاء كياننا القومي متلازم المظهر تلازم الاعضاء في الجسد . ان الحدس في الكلمة العربية من صرح الثقافة بمثابة البذرة من الشجرة . وانما شأن الخيـال في استجلاء الحدس كشأن البيئة في انماء البذرة . ذلك مادعانا الى القول بان امتنا ليست محصلة ظروف تاريخية بل انها معنى يبدع تجلياته ويوجهها نحو المزيد من الحرية . وذلك مادعانا الى الاعتقاد بان مثل ظهور الامم ذات الطابع البدء ، على مسرح التاريخ كمثل ظهور الانواع على مسرح الطبيعة .

زكي الارسوزي

أول فرحة

قصة بقلم

سليم زهدي

ساعة .. ساعتان . ثلاث ساعـات من الانتظار المقيت والملل المتواصل .. كنت وحيداً مع شمس أيار المحرقة .. والطريق الطويلة السوداء تمتد متعرجة على مد النظر بين حقول القمح الصفراء كأنها ثعبان يتحرق فوق رمال الصحراء القائظة لم يكن معي « اغراض » هذه المرة .. كنت خالياً تمامـاً منها .. هذه هي رغبة والدتي التي أبدتها لي وهي تودعني في المرة السابقة :

– برضاي عليك مابدنا مصروف وجخ .. ولا بدنا أغراض .. بدنا كم قرش نسفر هالختيار .

– ان شاء الله بسوي جهدي .

اذكر تماماً انني مامن مرة دخلت البيت وأنا فازغ اليدين كما يقولون .. كنت دائماً أجلب معي « اغراضاً » كثيرة .. واذكر أيضاً ان والدتي كانت تعتز كثيراً بالاشياء التي كنت أجلبها لها وتوزع قسماً كبيراً منها على جيراننا وأقربائنا .. ثم انها كانت تفاخر قريناتها من نساء الحي الذي نسكنه بهذه الأغراض :

– « ابني جاب سمن .. ابني الله يرضى عليه جاب جبن .. العين تحرسه جاب علبة حلو .. الله يديم جلابه جاب شوال حنطة .. »

ولسنة خلت كانت وظيفتي في بلدة بعيدة على الحدود السورية – العراقية .. وأتيت ذات مرة لاقضي عطلة الربيع .. وجلبت لهـا معي نارجيلة عراقية .. غالية الثمن . كثيرة الذوق .. كنت قد أوصيت عليها أحد اصدقائي الذاهبين الى بغداد .. وكادت ان تطير من فرحها لقد شربت فيهـا ثلاثة انفاس كبيرة من التنباك قبل ان تنام تلك الليلة . وكانت تصحبها معها بعد ذلك لعند الجيران عندما تذهب بزيارة :

– « هذه شغل بغداد .. الله يخليه .. الله يبقيه .. الله يحفظه .. الله يرضى عليه .. »

وفي المرة السابقة عندما حضرت الى البلدة بزيارة سريعة كنت ايضاً قد اتيت ببعض « الاغراض » .. زبدة حلوة .. وبيض طازج .. وفراخ دجاج .. ورطل من العسل . ان اختي الصغيرة تحب العسل الممزوج بالزبدة الطازجـة ، والقرية التي أدرس فيها هذا العام قريبة من بلدتي .. ثم انهـا كثيرة الخيرات .. رخيصة الاثمان .. واهلها كرام جداً . لقد حاول اكثر من واحد منهم أن يعفيني من دفع ثمن ما أشتريه منه .. ولكنني كنت اصر وادفع ولكن بعد ان يخفض الثمن الى النصف او اكثر قليلاً .. وهذا ما شجعني هذا العام على شراء اشياء كثيرة كنت آتي بها كهدايا للمنزل كلما سنحت لي فرصة النزول الى البلدة .. وهذا ماوفر لي أيضاً وفاء الديون الكثيرة التي كنت أرزح تحت ثقلها في الصيف الماضي .

زبدة حلوة .. وبيض طازج . وفراخ دجاج .. ورطل من العسل .. أشياء عظيمة .. ستجعل والدتي تقفز من الفرح وتزغرد .. ودخلت المنزل باعتداد وثقة واستقبلني الجميـع وأخذوا يعملون بي تقبيلاً وترحيباً حتى استقرت الاغراض على أرض المطبخ الملساء ..وبعد لحظة واحدة كانت أختي الصغيرة تمسك بيدها « عروسة » كبيرة مطلية بالعسل الممزوج بالزبدة الطازجة .. وفي عينيها الطفليتين يلمع بريق مفرح حاد من الحب والاعتزاز .. ولم يظهر هذه المرة على وجه والدتي أي أثر يدل على الفرحة والبهجة بالاغراض او بي على الاقل .. وبقي وجهها صارماً جاداً لا تعبير ولا نطق فيه .. ولم توزع هذه المرة اي قسم من الاغراض كما كانت تفعل في المرات السابقة ، كما انهـا أقفلت على البيض والزبدة والعسل على غير عادتها .. وارسلت الفراخ الى جارة لنا تملك قناً للدجاج برسم الامانة .. واستغربت أنا ذلك .. وكدت ان استفسر عن سر هذا التصرف الجديد لولا دعوة احدى الجارات والدتي لتشرب عندها نفساً .. وذهبت والدتي . ولاول مرة أراها تذهب بدون ان تأخـذ معها النارجيلة العراقية .. الكثيرة الذوق .. الغالية الثمن .. وخرجت من المنزل .. وعندما عدت في المساء كان الجميـع بانتظاري .. وخيل لي ان في عيونهم كلاماً كثيراً يودون قوله .. وقبلت يد والدي .. وقبلني على رأسي وجلست .. وضمنا صمت رهيب امتد طويلاً حتى خيل لي انهم يخفون عني امراً خطيراً حدث في غيابي .. وضايقني صمتهم فقلت :

– خير يا جماعة .

وردت والدتي :
- خير ان شاء الله .
وتبعها والدي :
- ان شاء الله خير .
وقلت مستغرباً :
- لم أفهم شيئاً .
وقالت والدتي :
- احكي له يارجال .
وقال والدي :
- احكي له انت .
.. وحكت والدتي :
- القصة السنة ابوك بدو يحج .

كان هذا يعني بالنسبة لي فرحاً كثيراً .. ولكنه يعـني ايضاً التزامي ببعض تكاليف السفر اللازمة .. وهذا بدوره يعني عدم تمكني هذا الصيف من خطبة بنت الحلال المناسبة .. كثيرات هن المناسبات .. لقد حدثتني شقيقتي الكبرى ذات مرة عن صديقتها « هند » وقالت يومها « انها مناسبة لي » .. وأنا شخصياً اعرف كثيرات .. موظفة في احدى الدوائر .. خياطة في الحي الذي نسكنه .. معلمة في احـدى القرى .. كلهن مناسبات .. لقد سئمت حياة الوحدة .. الوحدة المميتة .. والقرية النائية .. والغرفة الرطبة .. والمدفأة التي لاتشبع في برد كانون .. كم تمنيت ان تكون بجانبي امرأة .. اية امرأة تشاركني الدفء الـلذيذ .. والشاي الساخن .. والسجائر الشعبية المدموجة . لقد سئمت الوحدة .. وكرهت غسل القمصان والجوارب .. وصنع « المجدرة » الطعام الوحيد الذي تعلمت صنعه جيداً من والدتي .. « ..ولكنه والدي ، وليس غيره .. سيغضب علي .. وستنقم والدتي علي ايضاً ، ويزعل الصغار و . و . » ، « . سيفرح له الجميع . لحظة الوداع على رصيف الميناء ، موالد وحفلات الحج ، الزينات والرياحين ، العودة وأفراح العودة ، هدايا الحجاج عطور وتمر واقمشة هندية و . و . » واحسست فرحاً طاغياً ، وتحجرت في عيني دمعتان صغيرتان ، وحاولت شفتاي التعبير عن بعض فرحي :
- هذا كل املي وفرحي ان ارى والدي حاجاً ، وانا مستعد لتقديم كل مبلغ يلزم لهذه الحجة المباركة .

وظهرت اسارير البهجة والارتياح على وجه والدتي ، وفرح الصغار ، وخنقت الدموع صوت والدي وهو يقول :
- الله يرضى عليك ياولدي .
وقالت والدتي بفرح ظاهر :
- أول فرحة بحجة ابوك ، والثانية بفرحك انت باذن الله.
وسهرنا كثيراً هذه الليلة ، وقدمت لنا والدتي شراباً لذيذاً قالت انها صنعته خصيصاً لحجة والدي .. ولم ننم حتى قبيل الفجر. وعندما انتهت زيارتي السريعة للبلدة ودعتني والدتي وقبلتني:
- برضاي عليك مابدنا مصروف وجخ ، ولابدنا أغراض ، بدنا كم قرش نسفر هالختيار .

ساعة ، ساعتان ، ثلاث ساعات من لانتظار المقيت والملل المتواصل ، كنت وحيداً مع شمس ايار المحرقة ، والطريق الطويلة السوداء تمتد متعرجة على مد النظر بين حقول القمح الصفراء كأنها ثعبان يتحرق فوق رمال الصحراء القائظة ، يجب ان اسرع . غداً ستبحر الباخرة ، غـداً في الثامنة ، هكذا قالت اذاعة دمشق .. يجب ان اسرع ، وظهرت عن بعد شاحنة كبيرة تحمل محصول احدى القرى المجاورة في طريقها الى البلدة ، ووقفت الشاحنة . وقبل ان اصعد اليها كانت اصابع يدي تتحسس بحنو ورفق اوراقاً نقدية زرقاء طويت بعناية فائقة ووضعت في جيب القميص الصيفي الذي غسلته البارحة بالماء البارد .

اللاذقية ـ سليم زهدي

عمر ساعة

للمعلوط بن بدل السعدي

أجيرانَنا ! ان الدموعَ التي جرتْ
رخاصاً على أيدي النوى لغَوالِ

أقيما على الوادي ، ولو عمر ساعةٍ
كلوَثِ إزارٍ ، أو كحل عقالِ

فكمْ مرَّ لي من وقفةٍ لوفديتها
بروحيَ لم أغبن ، فكيف بمالي ؟

حديثها

لجران العود النميري

وحديثها كالقطرِ يسمعُهُ
راعي سنين تتابعتْ جدبا

فأصاخَ يرجو أن يكونَ حيا
ويصيحُ من فرَحٍ هيا ربا

خلق

لأحدهم

لان أزجىّ بعَيْدَ العُري بالخَلَقَ
واجتزي من كثير الزادِ بالرمق

خيرٌ واكرمُ عندي أن أرى مِنناً
معقودةً للئامِ الناسِ في عُنُقي

اني وان قصُرتْ عن همتي جِدَتي
وكان ماليَ لايقوى على خلقي

لتاركٌ كلَّ أمرٍ كان يُلزمُني
عاراً ، ويُشرعني في المنهلِ الرنقَ

فيئي اليك

لذي الخرق الطهوي

ما بال ام حبيش لا تكلمنا
لما افترقنا وقد نثري فنتفق

تقطع الطرف دوني وهي عابسة
كما تشاوس فيك الثائر الحنق

لما رأت ابلي جاءت حمولها
غرثى عجافاً عليها الطين والحرق

قالت : ألا تبتغي مالاً نعيش به
عما نلاقي وشر العيشة الرمق

فيئي اليك ، فانا معشر صبر
في الجوب لا خفة فينا ولا ملق

انا اذا صخرة حتت لنا ورقاً
نمارس العيش حتى ينبت الورق

النسر

للشاعر الكبير عمر ابو ريشة

أصبحَ السفحُ ملعباً للنسورِ ... فاغضبي يا ذُرى الجبالِ وثوري

انّ للجرحِ صيحةً فابعثيها ... في سماعِ الدُنا فحيحَ سعير

واطرحي الكبرياءَ شلواً مُدمىً ... تحتَ أقدامِ دهرك السكّير

لملمي ياذرى الجبالِ بقايا الـ ... نسر وارمي بها صدورَ العصورِ

انه لم يَعدْ يكحل جفنَ الـ ... نجمِ تيهاً بريشهِ المنثور

هجر الوكرَ ذاهلاً وعلى عيـ ... نيه شيءٌ من الوداع الاخير

تاركاً خلفه مواكب سُحب ... تتهادى من افقها المسحور

كم اكبّتْ عليه وهي تُندي ... فوقه قبلة الضحى المخمور

هبط السفح طاوياً من جناحيـ ... ـه على كلّ مطمحٍ مَقبور

فتبارت عصائبُ الطير مابيـ ... ـن شرودٍ من الأذى ونفور

لاتطيري ، جوّابة السفح ، فالنـ ... ـسر اذا ماخبرته لم تطيري

نسلَ الوهنُ مخلبيهِ وأدمتْ ... منكبيه عواصف المقدور

والوقار الذي يشع عليه ... فضلةُ الارثِ من سحيق الدهور

وقف النسُر جائعاً يتلوى ... فوقَ شلوٍ على الرمالِ نثير

وعجافُ البغاثِ تدفعهُ بالـ ... ـمخلبِ الغضّ والجناحِ القصير

فسرَتْ فيه رعشةٌ من جنون الـ ... ـكبرِ واهتزّ هزّةَ المقرورِ

ومضى ساحباً على الأُفقِ الأغـ ... ـبرِ أنقاضَ هيكلٍ مَنخورِ

واذا ما أتى الغياهبَ واجتا ... زَ مدى الظنِ من ضميرِ الأثيرِ

جلجلَتْ منه صرخةٌ نشتِ الآ ... فاقَ حرّى من وهجها المستطير

وهوى جثةً على الذُروةِ الشمـ ... ـاءِ في حضنِ وكرهِ المهجورِ

* * *

أيها النسرُ ! هل أعودُ كما عدْ ... تَ أم السفحُ قد أماتَ شعوري

أنا في هواكِ حكاية

ناجي

شعر

وهيب دياب

كم مرةٍ سألتني وأجبتُ انْ لاتسألي
أو ماكفاكِ وكم شرحتُ لك الهيام فأجملي
لك انتِ وحدك مذ وُجدتُ وماحييت وانتِ لي
وعيونك الخضراء فردوسي وهدبك موئلي
هذا ربيعي السرمديُّ منعمي ومظللي
فهنا ولدتُ ، هنا نشأت ، هنا ترعرع اولي
دنيا اعيش بها انا وحدي وأشرف من عل
الارض دوني والغيوم ظلال هذا المنزل
والبدر عندي والنجوم بقية من عذلي
والطير من حولي تحوم لترتوي بتغزلي
والعطر والأزهار سماري ونعمى جدولي

• •

ياخمر روحي ياهوايَ وجنتي لاتسألي
فأنا أحبك كل يوم ضعف حبي الأول
واحب فيك نعومة تحكي انسياب السلسل
وأحار كيف أكون في دنيا هواك المقبل
هاجرتُ من عمري إليك، وقد اتيتك اصطلي
فضممت روحي فائتوتْ وتركتني كي أجتلي
ولبستُ حبكِ فوق تحناني فصرتُ بمعزل
وإلى سناكِ سكنت فانسرب الأسى من مأملي

• •

أنا في هواكَ حكايةٌ بدأتْ ولمّا تكملِ
عذرية أبدية كزماننا المتسلسل
ولسوف يرويها الوجود لكل قافلة تلي
ويقول كان هنا فتى اسراره لاتنجلي
عرف الهوى وسموّه فشدا بوحي منزل
ويقول أبلاه الحنين ولم يكن في هيكلي
إلا بقية عابد بشجونه متزمل
ويقول : كان فؤاده كالراهب المتبتل
ويقول : ان هواه كان هوى نبي مرسل

على دربِ الهوى

ناجي

شعر

محمود البارودي

سألت ، وبي ما بها من جوى
وقد صرّح الشوق بالمقلتين

ومدت إليّ يداً .. بضة
خلوباً ، فأمسكتها باليدين

وكان لنا موعد في الهوى
وعهد تلألأ في خاتمين

* * *

بنيت له القصر فوق الذرى
وفجرت في سفحه الف عين

فمن شفق الورد أستاره
واعتاب أبهائه من لجين

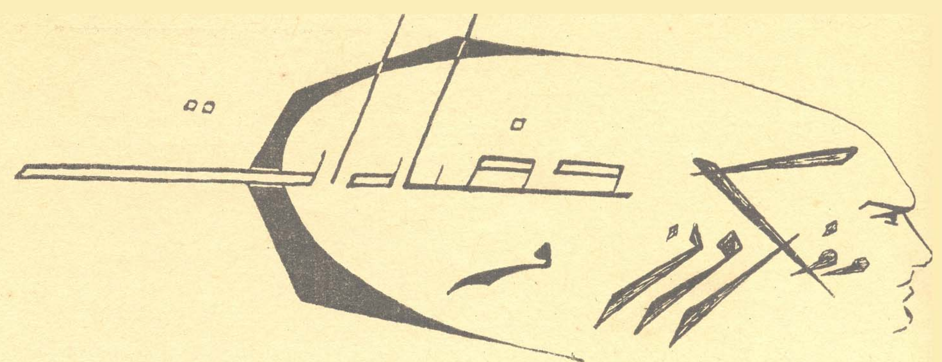
نعيش به الدهر في سكرة
ونمسي ، ونصبح في قبلتين

* * *

وطال المسير ولمّا نزل
حيارى نضلل في وجهتين

« حياتي ، حياة الهوى والمنى
ترى عش أحلامنا .. صار أين ؟ »

فأغضت ، و في خجل تمتمت
« مشينا .. على دربه .. خطوتين » .



اللامنتمي

تأليف : كولن ولسن ـ ترجمة : انيس زكي حسن

بقلم

محمد حيدر

باطل الأباطيل ، الكل باطل .

ماالفائدة للأنسان من كل تعبه الذي يتعبه تحت الشمس ؟ دور يمضي ودور يجيء ، والارض قائمة الى الابد .

رأيت كل الاعمـال التي عملت تحت الشمس ، فاذا الكل باطل ، وقبض الريح .

وجهت قلبي لمعرفة الحكمة ، ولمعرفة الحماقـة والجهل ، فعرفت أن هذا أيضاً قبض الريح . لأن في كثرة الحكمـة كثرة الغم ، والذي يزيـد علماً يزيد حزناً .. وكل ماالشتهته عيناي لم أدعه يفوتهما . ولا منعت قلبي من الفرح شيئاً ، بل فرح قلبي بكل تعبي ، وكنت أحسب أن ذلك نصيبي من كل تعبي . ثم التفت الى كل اعمالي التي عملتها يداي ، والى ماعانيت من التعب في عملها ، فاذا الكل باطل وقبض الريح ..

ولافائدة في شيء تحت الشمس .

« سفر الجامعة »

* * *

منذ البدء ، نتساءل :

من هو اللامنتمي ؟ ماهي مشاكله ، الى ماذا يهدف ، بماذا يتميز سلوكه ؟ وأخيراً : هذه التسمية ، كلمة « لامنتمي » ؟

في كتاب كولن ولسن « اللامنتمي » جواب على هذه الاسئلة .

لقد أثارت شخصية « اللامنتمي » اهتمام ولسن وشغلت تفكيره . فقام بدراسة واسعة لهذه الشخصيـة كما تتجلى ـ على اختلاف صورها ـ في الانتاج الفكري ، وفي الحياة ، لنفر من كبار الكتاب والفنانين أمثال : هنري باربوس ، هـ ـ ج ويلز ، سارتر ، كامو ، دوستويفسكي ، فان كوخ ، ت ـ ي لورنس همنغواي الخ ...

لن أتتبع ولسن فصلاً .. فصلاً ، والا كان مقالي تلخيصاً للكتاب وهذا مالا أهدف اليه . بل سأعرض شخصية اللامنتمي وخصائص هذه الشخصية . معتمداً على الكتاب حيناً ، وحيناً آخر .. على فهمي لها بالقدر الذي تسمح به مطالعاتي الشخصية ان الهدف من هذا المقال : العرض وليس النقد أو الدفاع .

* * *

تنبثق عن التجربة الانسانية ، من مجرد وجود الانسان على الارض ، وبمعزل عن اي تأثير خارجي ، مشكلات أساسية هامة تتعلق بهذا الوجود الانساني . وتعود أهمية هذه المشكلات الى انها « الدافع » الاساسي للسلوك البشري . ولسنا بحاجة الى ذكاء حاد لكي نكتشف أن الاغلبية الساحقة (المتعلم والجاهل) تمارس بصورة عفوية هذه المشكلات ، وتعبر عنها بالامثلة الدارجة على ألسنة الجماهير ـ وهو أمر نستمده من الخبرة اليومية . ولكنها تصبح بالنسبة لبعض الافراد ، الموضوع الذي يسـتقطب التفكير .

ان اكثر هذه المشكلات أهمية ، بل المشكلة التي تتفرع عنها كافة المشكلات ، هي فكرة « الموت » لان الموت هو اول ما نعيه منذ الطفولة .. « كغياب » نهائي لانسان يعيش في حياتنا اليومية . وعلى مر الزمن ، وبنضوج الوعي ، يخلق هذا الغياب في الذهن تساؤلاً ملحاً : لماذا يموت الانسان !

عبثاً نحاول الحصول على جواب مقنع ، أو نكتشف حكمة هذا الامر . وعندئذ نتساءل بشكل معكوس ، بطريقة اكثر

صلابة : لماذا وجد الانسان ؟

ان الجواب الوحيد المعطى لنا على سؤالنا السابق ، يحمل اقسى معاني اليأس والخيبة .. انه علامة استفهام «؟» . واحياناً يكون الجواب « لاشيء » ..

لقد كان الانسان ، وقبل أن يطرح على نفسه هذه الاسئلة يعيش في عالمه النملي ويؤدي دوره فيه مغموراً بالمواضعات والعادات الاجتماعية ، وبشعور من الطمأنينة الزائفة . ولكنه بمجرد انبثاق السؤال والجواب ، يصاب برجة عنيفة تجعل من الصعب عليه ان يقبل العيش ويحتفظ بطمأنينته السابقة .

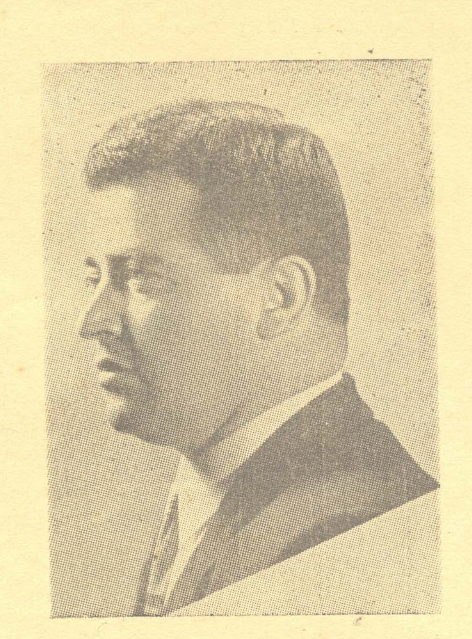
لنتابع تسلسل قضيتنا :

ان مشكلة « الوجود » لاتنفصل اطلاقاً عن مشكلة «العدم» ولايمكن فهم .. ولامبرر لطرح ، احداهما دون الاخرى . وهما المشكلتان اللتان تحصران بينهما ، ويتفرع عنهما بقية مشاكل الوجود الانساني الاخرى .

الولادة والموت .. وبينهما يحيا الانسان انها الطريق التي لانعلم شيئاً عنها : لاماسنراه ، ولا المدى الذي يمكن ان نصل اليه . ولكننا على يقين من النهاية .. « الموت » آخر محطة في في رحلة الحياة . اذن ماالفائدة من كل تعبنا ولماذا نجهد مادام كل شيء سينتهي بالموت ؟ وهكذا تصبح رحلة الحياة بلامبرر ويفقد الوجود معناه .

ان الموت هو الحاجز الوحيد الذي يوقف الذات وينهي دورها في الحياة .. الحاجز الذي لايمكن أبداً تخطيه ، ومن هنا تنبع رغبة الانسان الملحة في البحث عن شيء بامكانه أن يهب العالم « معناه » ويجعل لحظات الحياة في غنى مستمر ، بحيث يشف الحاجز حتى ليلوح لنا وكأنه غير موجود . فليس اذن من الشطط في شيء ان نقول بأن فكرة « الموت » هي المفتاح الوحيد للسلوك البشري .

الموت : هو المشكلة الاولى .. التيه الذي يضل فيه الانسان ويجعل الحياة بلامعنى .



الوجود : هو المشكلة الثانية ، ويطرح على نمطين ـ الاول التساؤل عن الوجود الفردي « لماذا وجدت ؟ » الثاني : تساؤل عقلي عن الوجود الانساني ، الوجود المطلق . ويأخذ الصيغة التالية ـ « لماذا لوجود وليس العدم؟ » الايمكن تصور العدم بدلاً من الوجود؟ والجواب على هذه الاسئلة : علامة استفهام «؟»

اما المشكلة الثالثة فتنبثق مباشرة من المشكلة الثانية ؛ فان مجرد السؤال « لماذا وجدت ؟ » يتلوه فوراً . مامعنى وجودي ـ لماذا أعيش؟ ولكننا ـ ورغم تفحص كل الاعمال والمشاعر الانسانية ـ فاننا لا نحصل على جواب شبه مقنع ، وبذلك نكتشف ان وجودنا غير مبرر ، ونحس بمرارة أن العالم « لامعنى » له وتلك هي المشكلة الثالثة .

ان اكتشاف اللامعنى ، عدم التبرير ، يؤدي الى رفض الحياة وعدم قبولها .. انه رفض عقلي وليس شعورياً ، «واقعي» رفض لا للحياة نفسها ، وانما لقيم الحياة .

حتى الآن .. خرج الانسان من اسئلته السابقة باليأس ، وبعلامة استفهام . ولكن ، وبمعزل عن .. وأيا كانت الاجابات التي يحصل عليها ، فان الحقيقة التي تنتصب أمامه بوضوح ، هي انني موجود ، وأريد أن أستمر ، واذن يجب علي أن ابحث وهكذا يندفع للتساؤل من جديد : من أنا ؟ ماذا يجب علي ان افعل ؟ هذا التساؤل ، هو المشكلة الرابعة ونسميها: «معرفة الذات » والتعبير عن هذه الذات .

الآن .. ومهما تكن النتائج ، أو الطريق التي اختارها الانسان ، فأن مايعذبه باستمرار ، هو أن العالم يتخلى بسهولة عنه دون أن يتغير شيء في الكون . انه يفكر بالطريقة التالية « لاوزن لي على الاطلاق . ان غيابي هو مجرد حذف تافه لاسم كما يمسح المعلم كلمة زائدة على اللوح » .. ان غيابي لايؤثر في مجرى الكون ؛ انني لاأعيش في ذاكرة العالم الاساعة الدفن .

تلك هي المشكلة الخامسة ، وتقف مع فكرة الموت على نفس المستوى من الاهمية ـ انها شعور « الضياع » .

ان القضايا التي عرضناها تؤلف المضمون الجوهري لمشكلة الانسان الذي ندعوه « اللامنتمي » ان جذور هذه المشكلة تبدأ

في الذات .. بتفتح الوعي . انه وعي عميق للذات ، مع شعور حاد بالتميز عن الاخرين .

* * *

مشكلة اللامنتمي قديمة العهد ، والفقرات المـأخوذة من « سفر الجامعة » لاتختلف بشيء عن اقوال بعض اللامنتمين في عصرنا الحاضر :

« باطل الأباطيل ، الكل باطل ـ سفر الجامعة ـ لاشيء يستحق بذل أي مجهود ـ اللامنتمي ١٣٤ ـ » . « ان في كثرة الحكمة كثرة الغم ، والذي يزيد علماً يزيد حزناً ـ سفر الجامعة ـ ان اللامنتمي ليس مجنوناً ، انه فقط اكثر حساسية من أولئك الاشخاص صحيحي العقول ـ اللامنتمي ١١ ـ .

وهكذا تلوح لنا المشكلة موغلة في القدم ، ليست وليدة عصر معين .. كما انها لم تنبثق بتأثير سبب خارجي . انها تنبع من أعماق الذات ، من مجرد وجود الانسان على الارض ، ولكنها لم تأخذ صورتها الواضحة الا في القرن التاسع عشر ، والقرن العشرين بصورة خاصة ، حيث اكتست طابعاً من الحدة والعنف لامثيل له من قبل . يتجلى ذلك في « القلق » الذي يكتسح البشرية اليوم ، حتى دعي هذا العصر بحق ، عصر القلق . واللامنتمي ـ بتفكيره وحياته ـ يعتبر تجسيداً لروح هذا العصر .. ومن هذه النقطة تنبع أهميته .

قلنا بأن مشكلة اللامنتمي ليست وليدة ظرف خارجي ، ولكن هذا لايعني أبداً أننا نعزلها عن المؤثرات الاجتماعية ، والا كنا كمن يقول بأن اللامنتمي يفكر « في الهواء » انه يعيش بيننا ويتفاعل مع المجتمع .

ان احداث القرن العشرين خاصة ، هي التي أعطت لهذه المشكلة طابعها الحاد وجعلتها تطفو بقسوة على السطح . لقد شهد هذا القرن أزمات طاحنة كادت تقوض المجتمع من الاساس : حربين عالميتين جرتا وراءهما مشاهد القتل والدمار ، وانهياراً في النظم والاخلاق . وبخطى لم يحلم بها عقل ، سارت الآلة بعيداً الى الامام ، وكان من جراء ذلك طغيان النزعة الآلية على الفكر البشري ، والقتل الجماعي « مأساة هيروشيما » حتى غدا مصير العالم ، لا الفرد وحده ، بدون ضمان . انه مهدد كل لحظة بالزوال لقد خلع الانسان من طبيعته وغدا صفراً على الشمال . (١)

هذا هو المناخ البشري الذي يتنفس اللامنتمي فيه ، وانه لمناخ كريه .. وخانق . ولكن أليس البشر كافة يعيشون في هذا المناخ ؟ هل معنى ذلك أنهم جميعاً لامنتمون ؟

كلا ـ نشبه البشر ، على سبيل التوضيح ، بجماعات النمل حيث تقوم كل واحدة بدورها في عالمها النملي ، دون أن تحيد عن طريقها المرسوم . ولكن : هل فكرت كل نملة بالدور الذي تؤديه ، وبالتالي هل فكر كل انسان بدوره في المسرحية ؟

ان مثل هذا التفكير لايحدث في العالم الحيواني ، وهو نادر في العالم الانساني . فقد وجد كل منا نفسه مرشحاً لدور « جاهز » فحرك يديه وبدأ يلعب دون سؤال ولا تفكير . ولكن واحداً ، خلافاً للملايين الممثلين ، رفض اللعب قبل ان يعلم حقيقة الدور : ما الحكمة من المسرحية « وجود العالم » ؟ وهل من الضروري أن يكون لي دور فيها « الوجود الفردي » ؟ وأخيراً مامعنى أن يندحر جميع الممثلين « الموت » ؟

هذا الفرد المتسائل ، انه اللامنتمي .

وتختلف الاجابات حسب طبيعة اللامنتمي ؛ لان اللاانتمائية اكثر فردية من كافة التجارب . ولكن ـ رغم التباين ـ وبصورة عامة ، فان الجواب المعطى على أسئلتنا السابقة : « لامعنى للعالم ـ الحياة بدون مبرر ـ لاشيء ، أبداً لاشيء » . او يكون الجواب ـ اعتماداً على تجربتنا اللاانتمائية الخاصة ـ قوساً فارغاً ( ) حيرة مطلقة .

ولكن كيف يكتشف اللامنتمي « لامعنى » الحياة ؟ هل الوجود ينطوي فعلا على « اللا معنى » ؟

نجيب بالنفي :

ان العالم يأخذ قيمته من الانسان ، وحسب موقفنا منه .. حسب نوع المنظار ، يتحدد معنى الحيـاة . فحصول احد الاشخاص على الغذاء والكساء والمسكن ، مثلاً ، يعتبر سعادة لديه ، بينما نجد شخصاً آخر في وضع مادي افضل من الاول بكثير ، ومع ذلك لا يكف عـن الشكوى . لماذا ؟ لان مطامحه تختلف في اتساعها ، وفي نوعها ، عن مطامح الشخص الاول . بالنسبة لقضية اللامنتمي ، ان الموت هو الذي يفقد الحياة معناها ، وبالتالي يجعل الوجود غير مبرر على الاطلاق . يقول كامو عن الموت : « انه يقين رياضي ، فما دمنا سنموت فليس لاي شيء معنى » ويقول بطل باربوس : « المـوت ، انه اهم الافكار اطلاقاً ـ ص ٣١ ـ » ويقول ولسن : ويلوح الموت صاحب الكلمة الاخيرة ـ ص١١ . وفي موضع اخر : « كيف

(١) تعالج قصة « الساعة الخامسة والعشرون » هذه النزعة بالذات ، وبمنأى عن أي شطط أو مغالاة ، نستطيع القول بأن هذه القصة خير من كل الآثار الفكرية لهذا القرن . انها تطرح بعمق .. بتحليل دقيق ، الوضع الانساني في القرن العشرين : العذاب في معسكرات الاعتقال ، فظائع الحرب انهيار « القيم » الانسانية .

يستطيع الانسان ان يهدف الى شيء او يؤمن بشيء ، في حين انه ليس واثقاً من انه سيطلق زفير الهواء الذي يتنفسه الآن ص ١٣٢ - » .

ويتساءل اللامنتمي مع تولستوي : «ما هي الحياة ؟ لماذا يجب علي ان اعيش ؟ لماذا يجب علي ان افعل اي شيء ؟ هل هناك اي معنى في الحياة في امكانه ان يقهر الموت الذي لا يمكن تجنبه ؟ ص ١٧٩ » .

ولكن يا ترى هل يرغب الانسان في الخلود ؟ بشكل آخر : هل يعتبر الخلود حلا لمشاكل الوجود الانساني ؟

جوابنا النفي : لان قيمة الحياة الانسانية قائمة في اليأس . السعادة .. الأمل .. الشقاء .. في سعي الانسان المستمر للتعبير عن ذاته . في الصراع البشري . وهو القيمة الانسانية الوحيدة

لقد طرحت سيمون دي بوفوار هذه الفكرة في قصتها «البشر فانون جميعاً » . بطل القصة ، ريمون فوسكا ، شرب اكسير الحياة فأصبح خالداً . يقول فوسكا : « انني احيا ولا حياة لي . اني لن اموت ابدا ولا مستقبل لي لست شخصا من الاشخاص وليس لي تاريخ ولا وجه » . ويقول ايضا موجها كلامه الى الممثلة ريجينا : « انقذيني من الليل ومن عدم الاكتراث . اجعلني احبك وكوني موجودة لي من بين جميع النساء . عندئذ يجد العالم شكله من جديد وتكون هناك دموع وابتسامات وانتظارات ومخاوف فأكون انا انساناً حيا » . وفي موضع آخر : « ... ولم يعد الأيام سوى لون واحد : هو لون عدم الاكتراث - ولم تكن هنالك دموع في عيني ابدا ولا نار في قلبي . انسان من لا مكان ، بدون ماض ولا مستقبل ولا حاضر . لم اكن اريد شيئاً ولم اكن احداً من الناس » . « ... ونقدمت خطوة فخطوة نحو الافق الذي كان يتقهقر لدى كل خطوة . كانت قطرات الماء تنبجس ثم تعود متساقطة ، وكل لحظة تدمر اللحظة الماضية ، وكانت يداي فارغتين الى الابد ، كنت غريباً ميتاً وكانوا بشراً احياء . لم اكن انتمي اليهم ولم يكن لدي ما آمل فيه »(١) .

لنتابع قضيتنا السابقة :

الموت ، هو مشكلة اللامنتمي الحقيقية ، وبما انه لا يوجد في الحياة شيء يستطيع ان ينتصر عليه ، فانها تصبح بلا محتوى وفي مثل هذا الوضع ، يرفض اللامنتمي الحياة . وهذا الرفض هو من مميزات سلوك اللامنتمي ، وبما ان هذا الرفض ليس له ما يبرره في نظر الآخر العادي ، فان اللامنتمي يبدو وكأنه حاله « لا اجتماعية » او انه شاذ او مجنون . ولكن اللامنتمي ليس مجنوناً ، ولا مريضاً نفسياً « انه فقط اكثر حساسية من اولئك الاشخاص المتفائلين صحيحي العقول - ١١ - » . ومن الامثلة التي يضربها ولسن ، بطل باربوس في قصة «الجحيم» فما يجعله لا منتمياً ، كونه يرى اعمق من اللازم - ١٦ - » وبطريقة اوضح ، يقص علينا تولستوي خرافة شرقية « تدور على رجل يتعلق بغصن يتدلى الى هوة عميقة ؛ لينجو من وحش مفترس في الاعلى ، ومن وحش آخر في الاسفل ، بينما يقرض الغصن جرذان ، وبينما هو معلق هكذا ينتظر الموت ، يلاحظ بعض قطرات من العسل على اوراق الغصن ، فيمد لسانه اليها ويلعقها ، وهذا هو الانسان الذي يتعلق بين احتمالي الموت العرضي العنيف ، والموت الطبيعي الذي لا يمكن تجنبه ، اما الامراض (الجرذان) فانها تسرع بالنهاية - ١٨٠ - » .

ان اللامنتمي هو الانسان الذي يرفض ان يلعق العسل في مثل هذا الوضع البشري ، بينما الانسان العادي ، بحسه البليد ، يلعق العسل ، وليس هذا فحسب .. بل يدعي فوق ذلك ان اللامنتمي انسان عليل - لماذا ؟

لانه لا يشتهي العسل !!

ان رفض الحياة يحفر هوة عميقة بين سلوك اللامنتمي وارادته بحيث يصبح السلوك معزولاً تماماً عن الارادة : ان جوهر العمل الارادي « الاختيار » الذي ينم عن وجود دافع ، عن رغبة في شيء ما .. ولكن اللامنتمي يرفض الحياة ، ولذا فان

---

(١) مجلة الاديب : « سيمون دي بوفوار ومشكلة الموت » - نهاد التكرلي - والمقال تلخيص لقصة « البشر فانون جميعاً » وهي قصة تقوم على اساس فلسفي وتعالج مشكلة الموت وعلاقته بالوجود الانساني . وتأخذ الكاتبة برأي سارتر ، وهو ان الموت لا علاقة له بتناهي الانسان ، ان الوجود الانساني متناه بطبعه . ومشكلة الموت ليست وقتية ، بل هي مشكلة اساسية تتعلق بوجود الانسان في العالم ، هذا الوجود الوقتي العابر الذي لا يستطيع الانسان ان يفهمه او يكشف علته ، ولذلك ستبقى مشكلة الموت تؤرق الانسان وتلح عليه مادام موجودا على سطح الارض ، وما دام قد حكم عليه بأن يكون وجوده متناهياً وان يواجه مصيره المحتوم «الموت» مهما فعل . وهذه المشكلة ، لم تشغل بال الرجل العادي فحسب ، بل شغلت الفلاسفة والمفكرين منذ اقدم العصور حتى اليوم ، حتى يمكن القول بأنه ما من كاتب او فيلسوف عظيم لم تكن فكرة الموت بالنسبة اليه موضوعاً لارهاق فكري وكفاح نفسي شديدين ، وما من اثر عظيم لم تكن فكرة الموت كامنة في المنبع الذي يصدر عنه ان .هذه الفكرة تلعب دوراً كبيراً في الفكر الحديث وفي الفلسفة المعاصرة وتطبع الادب المعاصر بطابع قوي اصيل

سلوكه لايصدر صدوراً حراً عن ارادته. ان الحرية تعني حرية الارادة، ولكن اللامنتمي لايريد شيئاً ولايرغب في شيء، انه «لايختار» وبالتالي فهو غير حر على الاطلاق.

لقد اصبح اللامنتمي في حالة «حصار» ومن الطبيعي انه سيندفع للبحث عن طريق للخروج - ومثل هذه المحاولة من جانبه ستتجه بداهة الى امرين: **الاول** «الذات» - **الثاني** «العالم». الذات، لتفحص قواها الطبيعية ومعرفة اتجاهها الاساسي (بلغة علم النفس: الميل) العالم، لاكتشاف الموضوع الذي يعتبر مفتاحاً للخلاص. شعاره: ماذا يتعين علي ان افعل لكي اخلص - ١٧٨ -؟ ويلخص ولسن ذلك بقوله: ان واجب اللامنتمي هو ان يجد الاتجاه الذي يؤدي فيه اعماله ويشعر فيه بأنه نفسه على أشد مايكون، أي يحقق فيه أعلى مايمكن من التعبير النفسي فرض الذات - ٨٩ -. وهكذا فان رغبة اللامنتمي الحقيقية هي أن ينجو من التفاهة التي تغمر الآخرين ويعمق جذوره في الارض.

ان **تفحص الذات** ينتهي عند اللامنتمين بنتائج مختلفة:

قد تكون النتيجة هزيمة وخيبة، حيث يسحق اللامنتمي شعور بتفاهته الذاتية [1]، ويفقد الثقة بنفسه.. بأنه لايستطيع ان يقوم بشيء. ان شعاره صيحة بطل باربوس: «لااملك شيئاً، ولااستحق شيئاً، وبالرغم من ذلك اشعر بالحاجة الى تعويض - ١٤ -». او مع لورنس: «انا لااستحق ان افعل اي شيء».

او تكون النتيجة حيرة وتشتتاً، حيث يحس اللامنتمي بالفعالية الكامنة فيه.. ولكنه لايعرف اتجاهه الصحيح، لايعرف ماذا يريد من العالم (فان كوخ). انه يردد: لااعلم ماأريد لااعلم.. وتلك هي المأساة.

تقول الحكمة اليونانية: اعرف نفسك. ان جواب اللامنتمي عليها: اهناك مأساة اعمق من ان يجهل الانسان نفسه؟ لست ادري من انا.!!

وبتأثير من هذا الشعور انحدر ثلاثة من اللامنتمين اعتقدوا كما فعل بطل باربوس، بأنهم لايملكون شيئاً ولايستحقون شيئاً. ان هذا الاعتقاد لايتيح للانسان مركزاً ممتازاً في صراعه مع مشكلة حية، ولذا كانت نهاية الثلاثة مفجعة. (راجع الفصل الرائع الذي عقده ولسن لدراسة: لورنس - فان كوخ - نجنسكي ص ٨٤)

هذا فيما يتعلق بالذات، اما تفحص العالم.. فينتهي بنا ايضاً الى الخيبة واليأس؛ اذ لاشيء فيه يستطيع ان ينتصر على الموت وبذلك تتساوى عند اللامنتمي الاشياء، ويفقد اغراءه العالم.

لقد اغلقت جميع المسالك، واصبح العالم بلامنفذ: «ليس هنالك من طريق الى الخارج او الى ماحول او الى الداخل - ٢١ - هـ ج ويلز» ان صرخة ويلز هذه تبدو وكأنها استغاثة انسان يحتضر.. انها شعور «الاختناق». او كما يقول ستراود «لاشيء يستحق بذل أي مجهود.. ولاطريقة افضل من الاخرى - ١٣٤ -».

ومع شاعر حديث:

احفر، احفر مسراك صخور
احفر، لاظل تراه هناك
لاماء يبل صداك
وسعير دماك
لاشيء سوى طين مصهور

(خليل خوري - من قصيدة: رحلة الضياع)

وبطريقة أشد يأساً:

باطل الاباطيل الكل باطل. ماالفائدة للانسان من كل تعبه الذي يتعبه تحت الشمس؟ الكل باطل وقبض الريح.. ولافائدة في شيء تحت الشمس.

فاذا أضفنا الى هذا كله، صيحة فان كوخ: «لن ينتهي الشقاء» كانت النتيجة، كما يقول ولسن: نوعاً من السفلس الروحي لايمكن ان يرجى بسببه خلاص من الموت أو الجنون.

تلك هي النتائج المفجعة لبعض اللامنتمين. ولكن، لحسن الحظ، ان هذه النتائج ليست نهائية ولاعامة؛ فهناك طريق آخر للخلاص، ينجي اللامنتمي من التفاهه ويغرز مخالبه في الارض. انه موجود، بصورة رئيسية في التطرف - واللاكتراث.

التطرف:

---

(١) ان شعور «التفاهة الذاتية» لا يشكل تناقضاً مع قولنا بشعور التمييز عند اللامنتمي لان الشعور «بالتفوق الذاتي» هو احساس اللامنتمي بالقوة التي في اعماقه. باستعداداته وامكانياته الكامنة. اما شعور التفاهة فانه ينبثق من احساس اللامنتمي بعجزه عن اخراج امكانياته الى حيز الوجود. ان تفوقه يظل داخلياً دون تجسيد. ويطلب اللامنتمي تقديراً على اساس من هذا الشعور. ان جملة بطل باربوس تدلنا على ذلك: «لا املك شيئاً. وبالرغم من ذلك اشعر بالحاجة الى تعويض.

التطرف ، تجاوز للمألوف . انه السير عبر الخط الاجتماعي المرسوم من قبل الآخرين .. وقذف التجربة الانسانية ، بكل ماتملك من حدة وعنف ، الى اقصى مدى يمكن ان تصل اليه .

يتحدث سارتر عن بودلير : « لقد جعل بودلير من نفسه انساناً ملعوناً ليكون شيئاً ما .. كهؤلاء الاولاد الذين يريدون ان يؤكدوا شخصياتهم ووجودهم في وقت مبكر جداً ، ولما كانوا عاجزين عن ان يفعلوا ذلك بصورة طبيعية ، فانهم يؤكدونها بنوع من التحدي ، اذ يلتذون بأن يعطوا عن انفسهم صورة منفرة ، ولكنها « موجودة » على الاقل . وهكذا بودلير ، فانه أعطى لنفسه وهم « الوجود » بأن جعلها عرضة للنقد واللعنة مادام لايستطيع ان يحصل على ذلك بطريقة أخرى . وهو لعجزه عن أن يبرر لنفسه وجوده بالذات ، فانه جعل من نفسه موضوع فضيحة للآخرين . وهكذا وجد آخر الامر وتحرر من القلق . ـ سارتر والوجودية : ترجمة سهيل أدريس ـ »

ان التطرف ، باعتباره تمرداً على القيم الاجتماعية وتخطياً لها فانه يتضمن شعور المسؤولية التي تبرز أهمية الفرد المتطرف وتضعه في مكان بارز بالنسبة للعالم . والمتطرف ، باختياره التطرف سلوكا له ، ولصدور أعماله عنه صدوراً ارادياً ، وبطريقة حرة فانه يعي هذه المسؤولية ويلتزمها بعمق . وهكذا ، بواسطة التطرف ، يقفز اللامنتمي الهوة القائمة بين سلوكه وارادته ، يستعيد حريته المفقودة ويعطي « معنى » للحياة .. ويتحرر من التردد ومن شعور التفاهة .

على أن القيمة الحقيقية للتطرف ، هي في « فرض الذات » حيث يستقطب المتطرف اهتمام الآخرين ، وفي مثل هـذا الاحساس يتلاشى عند اللامنتمي شعور « الضياع » . وهذا يفسر لنا لماذا أن معظم المتطرفين لايتراجعون أمام اية مقاومة اجتماعية ، ومهما بذلنا من النصح بل العكس من ذلك ، انهم يوغلون في التطرف بمقدار ما يزيد اللوم الموجه اليهم .

لماذا ؟! لقـد أصبحوا « موجودين » .. انهم مفروضون على العالم بصلابة لا تقاوم . وهكذا وجـد اللامنتمي « الاتجاه الذي يؤدي فيه أعماله » ويشعر فيه بأنه نفسه على أشد مايكون ، اي يحقق فيه أعلى مـا يمكن من التعبـير النفسي ـ فرض الذات ـ ٨٩ » .

يتساءل تولستوي : هل هنالك أي معنى في الحياة في امكانه أن يقهر الموت الذي لايمكن تجنبه ؟ لقد وجدنا الجواب : التطرف .. انه انتصار على الموت . ولكنه ـ مع الاسف ـ انتصار وهمي ومؤقت ؛ لان التطرف كثيراً ما ينتهي بالضجر والسأم ، حيث يفقد اغراءه العالم ولا يستطيع أن يستهوي اللامنتمي أي شيء بعد . لقد مارس كل التجارب وأحرق رصيده في تجربة التطرف (مثالنا على هذا النموذج ، بطل بيرون في كتابه : اسفار اتشيلد هارولد) ولذا ينتهي الامر ببعض المتطرفين الى الاندراج العادي من جديد في تيار الحياة اليومية . وبدون عنف ، يقصون احلامهم السابقة . (رامبو) .

وبطريقة اكثر طرافة ، يختم بعضهم حياته بالدين .. انه لامر مضحك وفاجع ؛ ان ننتقل من الوعي التام الى حـذف الوعي ، دون رجعة .

اللاأكتراث

ان التطرف ، بوضعه الانسان المتطرف في مكان بارز بالنسبة للآخرين ، هو حل ممتاز لمشاكل اللامنتمي ، ولكنه ولو اسقطنا من حسابنا كونه ينتهي أحياناً بالسأم ـ ليس حلا نهائيا كاملا ، لانه يتضمن « دخول » الوعي في الحياة اليومية . انه تمرد على التفاهه ، ولكنه اعتراف بذات الوقت ، اعتراف بالعالم الذي نتمرد عليه . اما عدم اكترا ثنا به ، فانه يعني اسقاطه نهائياً من الحساب .. وضعه في دائرة العدم .

اللاأكتراث : هو ان يحتفظ الانسان بوعيه « خارج » اليومي البليد . ان يمارس كل التجارب دون ان يكون عبداً لأية واحدة منها . ان اللامكترث فوق الحوادث ، معزول عنها وهو لايعير العالم أي اهتمام .. لايرفض ولايختار . وهذا لايعني ان اللاأكتراث هو ضمور للوعي وبلادة في الحساسية ، بل العكس من ذلك : انه وعي عميق ، وعي الموت ووعي التفاهة .

ان اللاأكتراث ، لايهدف كالتطرف الى تبديل نمط الحياة الاسلوب الذي تعاش به ، وانما يبدل علاقة اللامنتمي مع العالم . والمتطرف ، لايقبل طريقة الاخرين في العيش ، بينما اللامكترث « قـد » يعيش كالآخرين ، ولكن بوعي خاص جديد .

ان « ميرسو » بطل كامو في الغريب ، يجسد هذا النموذج من اللامنتمين افضل تمثيل ، انه اللاأكتراث المطلق .

يقول كامو على لسان بطله : « ثم سألتني ثانية عما اذا كنت احبها . فأجبتها بأن سؤالها يعني لاشيء ، أو انه قريب من اللاشيء ، الا أنني أضفت انني لم اكن احبها ـ ٣٣ ـ » . ان

ان ميرسو لايعلق اهمية ما على شيء - انه عديم الاكتراث لمسائل الشعور.

يتحدث عن امه : استطيع ان أؤكد جازماً انني كنت مولعاً بها ، غير ان ذلك لم يكن يعني شيئاً كثيراً . وعندما يقدم القاضي صليباً الى ميرسو ويطلب منه ان يتوب ينظر اليه ميرسو بدهشة . عن اي شيء يتوب ؟ !

ولكن الحقيقة ان الوعي لم يرافق ميرسو منذ البداية ، لقد استيقظ متأخراً .. في السجن .

فاذا اضفنا اللااكتراث الى التطرف ، وصلنا الى مايشبه الحل النهائي ، نقول « مايشبه » ، لان مشاكل اللامنتمي لايمكن ان تحل بصورة نهائية ، كاملة . والموت .. يظل دائماً صاحب الكلمة الاخيرة ، وعلى شواطئه تتلاشى كل الامواج ، ولذا فجميع المحاولات غير مجدية .

تلك هي السمات البارزه والحلول الممكنة لمشكلة اللامنتمي وان كان من الصعب ان ندعي اننا احطنا بها ، لانها مشكلة غير قابلة للتحديد او الحل :

ليس اللامنتمي مجنوناً .. ولامريضاً نفسياً . علته انه اكثر حساسية من الاخرين .. ويفكر اكثر ، واعمق مما يجب انه مصاب بالتمزق الروحي .

ابرز صفاته الحيرة والتشتت . وربما تلائمه كلمة « المشتت » اكثر من « اللامنتمي » .

تبدا مشكلته في الذات ، بتفتح الوعي . انه صحيح .. العالم هو المريض .

الموت .. مشكلته الحقيقية ، وصاحب الكلمة الاخيرة .

همه الدائم ان يجد الاتجاه الذي يعبر فيه عن ذاته ، يعطيه اعلى مايمكن من درجات التعبير النفسي - فرض الذات . ان يجد المعنى الذي بامكانه ان يقهر الموت .

يخيب حيناً ، فينتهي بالموت العقلي - الانتحار - الجنون ويلتمس العزاء احياناً في التطرف ، اللااكتراث ، ولكن مشكلته لايمكن ان تحل بصورة نهائيه . جميع محاولاته غير مجدية ، الموت ، صاحب القول الاخير .

في راينا ، انه من بين جميع الشخصيات التي عالجها ولسن ، فان اكثرها تجسيداً لشخصية اللامنتمي : « ميرسو » بطل قصة الغريب - كامو - « روكانتان » بطل الغثيان - سارتر - . « ملاحظات من تحت سطح الارض » - دوستويفسكي - (١) .

وبعد :

ان كتاب ولسن « اللامنتمي » يشهد بثقافة المؤلف الواسعة ، وبالجهد الجبار الذي بذله في التأليف ، ثم ، وهو الاهم يبرهن على مايتميز به ولسن من فهم عميق وقدرة على التحليل . لقد تقصى ولسن شخصية اللامنتمي فدرسها دراسة موسعة كل فصل فيها يرتبط بما قبله ويمهد للذي يليه . وكما قال عنه احد الكتاب في الاقليم الجنوبي ، انه من الكتب التي لاتنسى ، ولابد لنا من ازجاء الشكر للمترجم الاستاذ انيس زكي حسن ، الذي ادى الترجمة في لغة سليمة واسلوب جيد دون غموض ولا ابهام .

محمد حيدر : من « الادباء العرب »

---

(١) راجع : كامو والتمرد سارتر والوجودية ، ترجمة الدكتور سهيل أدريس . أما : ملاحظات من تحت سطح الارض ، فقد ترجمها الاستاذ عبد المعين الملوحي بعنوان : في سرداب .

دمشق الأخرى

بقلم

ملاحة خاني

كنت ارى البنات وقد ارتدين ثياب المقاومة الشعبية فبدت جميلة متناسـقة ، او فضفاضة كالخرج .

وكثيراً ما كنت ادهش وأعجب وأنا ارقب من نافذة ترام امرأة سوداء كبيرة السن تسير بثياب العسكر وشعرهـا الاجعد المكزبر يبرز من جانبي الطاقية الزورقية .

أختي الصغيرة ايضا انتظمت في صفوفهم ، متحمسة ،سمراء جدية .. تفيق صباحا باكراً وقت التمرين ، ويكثر نشاطها وحرارتها وضوضاؤها ، رغم انها لاتفارق المدفأة في الليل .

أما انا فلم انخرط معهن وبقيت بعيدة عن جوهن اسباب تافهة ، فتاة جامعية تطالع كثيراً ، تقرأ كل شيء الا واجباتها المفروضة ، واكثر من هذا لاتذهب للتدريب .

في الاستقبالات النسائية كان الحديث يدور بين النسوة اللواتي حبهن الرجال في المنزل ، وشددن عليهم الخروج - بغير لهفة ، يقترين من بعضهن بهمسات مجنونة سيئة النية .

- بنات اليوم يذهبن للتدريب ؟ اي والله ثم والله لايرحن هناك الا ليظهرن انفسهن .

وتنط اخرى نصف متعلمة :

- انا لااوافقك ياسيدتي فالوعي عندنا يشمل الكبير والصغير الرجال ، والنساء .

ثم ترد امرأة ثانية :

جيلهن غير جيلنا ، فما عادت المرأة حبيسة البيت . اليوم تشترك في التعليم ، في الوظائف ، وتتدرب على حمل السلاح . هذا واجب ، واجب . من قبل لم نعرف المسؤوليات الكبيرة لاننا كنا نرزح تحت عبء الاجنبي .

قليلا جداً ماكنت أهتم بما يقلنه ، فوجودي بينهن لم يكن ابداً عن رضى القانع .

واكثر الاحيان كانت أختي المتطوعة تحتد بنقاش معهن مضحك مثير ، هي في العالي ، في التمرين ، في الواجب ، وهن أبداً لايتعدين الشعر المصقول المنسـدل من تحت الطاقية الخاكي ، وآثار الزهر المتفتح على الشفاه . ثم يرتفع صوت ثالثة تدخل الله في الموضوع :

الله يخوف . هذه الرعود هذه العواصف كلها غضب غضب من عنده لم نعد نفرق بين الرجل والفتاة هذه الايام الشعر واحد واللباس واحد ، أليس هذا كفراً ؟ .

مضت الايام وعـدد المتطوعات بازدياد ، وشملت الحماسة حتى الاطفال ، وضجت الحارات بصخبهم ، وباستحكاماتهم وبانقسـامهم فريقين ، احدهما يمثل العدو المهاجم بوجهه القبيح والثاني الوطني المدافع . وفي بعض الاحوال المشجعة يتسللون الى حيث بنادق الاخوة يلمسونها بدهشة واعجاب .

وكانت الدعوات تخرج من فم المذياع حارة مغرية !!

« على متطوعات المقاومة الشعبية من حي المهاجرين الحضور الى دار المعلمات بعد ظهر الخميس .. » .

ومع تكرار الدعوات كان النشاط يعود أقوى . واشد واجمل . فتحمل الطاقيات على الكتف تحت العروة الصغيرة الطويلة ، وتسارع المتطوعات الى العمل .

كثر القيل والقال بين محبذ ومعارض ، خرست الالسن الرجعية ، وتطلعت عيون ذكية الى المستقبل الجميل الذي ينتظر البلاد بوعي نصفه الحلو .. وحل اسبوع معونة الشتاء فتغير شكل الدعوات .

في الباص ذات مرة ، قال رجل يحمل كيساً منفوخاً من الورق ظهرت منه برتقالات كبيرة يحدث جاره :

الله من كان يتصور بناتنا اللواتي يخفن من ذنب فأر يمتد من ثقب في المطبخ يخرجن اليوم ويتدربن على السلاح والدفاع وصوت اطلاق الرصاص .

كنت ساعتئذ في طريقي الى البيت .. وقد انتشرت في الشارع الوان الخاكي يدق اصحابها البيوت لمعونة الشتاء .

شغلت بأعمال رتيبة ، ولذا كنت لا اسمع من اختي المتطوعة ماجرى لها مع البيوتات التي طرقت بابها .. وكانت من حصتها .

ذات ساعة عادت اختي منهكة بعد ان دارت كل النهار على المنازل تجمع الملابس ، وبادرتني بقولها :

- هل تتصورين بيوتاً في دمشق الحلوة التي ينظر اليها

العالم اليوم، يوجد بها منازل دون ماء ولا كهرباء، تعيش على مصباح الكاز وضوئه واذ تراني متنبهة منصتة تتابع :

ــ هذا لا يكاد يصدق .. لا اقصور فقراً كالذي رايناه اليوم . اسرة كاملة تعيش في غرفة واحدة مشقوقة النوافذ لا نار ولا ماء واخرى يهتز بيتها من الهواء كلما مر به وثالثة يفوح من عتبتها البؤس والشقاء .

الى جانب هذا كنا نشاهد الترف يكاد يبرق، يخطف الابصار، وكأننا في احد الافلام .. غنى .. غنى حتى في الرائحة التي نشمها . ثم سكتت وبدت عليها علائم التفكير قالت اخيراً :

ــ تصوري طرقنا باباً يجثم في اعالي قاسيون، لم نصل اليه الا ولهاثنا بلغ اصحابه، فتحته امرأة مسنة استقبلتنا بالترحاب :

ــ ياألف مرحبا، ياألف مرحبا والله أنتظرتكن منذ ثلاثة ايام .

وزمت شفتيها، ولم تلبث ان تدحرجت دمعة كبيرة من عينيها العجوزتين .

في اليوم التالي جاءت صديقتي، قصيرة القد صغيرة القدمين . بادرتني ساعة وصولها :

هل احكي لك قصة رأيتها انا بعيني، قصة اناس يعيشون من العدم هنا، وفي بلدنا ؟ مثلهـــا كثير ! ولكن هذه علقت بذهني .

وادرت وجهي نحو الشباك الذي اصطفت عليه كتبي جميلة متناسقة لعلي احول الحديث، فقد كدت اسأم حديث المآسي واخبار البؤس، ولكن نورس ـ وهذا اسمها ـ مضت في الكلام .

اليوم انتهى أسبوع معونة الشتاء، وانتهى ايضاً تعبنا .

ولكن مارأيناه يظل دائماً حقيقة ماثلة، وألماً يحز في نفوسنا رأينا اشياء كثيرة، وكشفنا عائلات مستورة ترضى بالقليل على أمل . ابتعدي قليلا من بيتك، الى قبر عاتكة، حارة الفواخير شيخ محي الدين، حارة الاكراد، تجدين العجب . الى جانب الضيافة الرائعة والنظافة والكرم يعيش الفقر، البؤس، القذارة الجهل . اولاد، عر أولاد في كل بيت فقير، تصوري :

ولد يشد أمه من زنارها ويطلب بالحاح ان تعطينا شيئاً أي شيء : قميصه، كتبه، صدريته السوداء . واخرى ثالثة ورابعة ولكن ماذا أحكي ؟ كنا نشم رائحة الفقر من العتبة نلم بكل ماحولنا من النظرة الاولى بسط مصنوعة من خرق بالية وفرش مكدسة، أولاد كبزر الزيتون .. نعم كبزر الزيتون، ولكن ماعلق بذهني بيتان :

الاول يظهر كالسيد الغني، والثاني كالخادم الذي يأكل لقمته واللعنات تصب فوق رأسه . طرقنـــا البيت الفخم . امتد من خلفه صوت نسائي دلع .

ــ من ؟

ــ معونة الشتاء .

ــ دفعنا نحن تبرعنا بدراهم .

ولم تكلف صاحبة البيت نفسها مشقة فتح الباب لترى من الطارق . الواقع انني كرهت كل طلب، وكرهت المهمة التي جئت من اجلها، وهممت باللحاق بموكب الفتوة الذي كان ينتظرني في أول الحارة صوتاً ناداني من البيت الصغير :

آنسة، تعالي، عندي مدفأة جديدة هلا أخذتها ؟ .

كان ثمة رأس أشقر يمتد من قضبان نافذة علوية وابتسامة عذبة ولم يلبث الرأس ان غاب وظهر في الباب .

ــ أهلا وسهلا، أهلا وسهلا ..

كان الواقف بفم الباب يستطيع ان يحصي كل شيء في الداخل جرن الكبة، كرسي الحمام، طبق الغسيل فرش اولاد ينطون .

تفضلي هذه هي، نظيفة، انها جديدة ومفيدة ادركت للتو ان لا وقود للمدفأة عندها، ولن تستطيع ان تنظر اليها كل يوم وتمسح الغبار عنها، والبرد قارس يثلج الاطراف فلينتفع بها المجاهدون . وكانت نظراتها طويلة حزينة فشكرتها باخلاص وانصرفت وتمنيت فيما بيني وبين نفسي لو أني املك مالا كثيراً .

وسكتت نورس وقالت بتأثر .

أنا أيضاً اسهم في مصروف المنزل وراتبي قليل .

ثم اردفت :

بعد ذلك طرقنا أبوابا كثيرة وأخذنا ما كان لنا فيه النصيب . قالت واحدة :

ــ هذه ! وأشارت نحو بيت صاحبة المدفأة لا تأخذي منها شيئاً، الحالة على قدها، وزوجها توفي منذ اسبوع، وترك ستة اطفال ولا مال ولا مايحزنون .

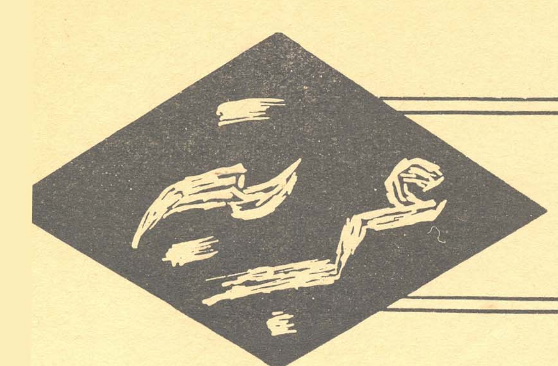
أطبقت صديقتي فمها وكأنها تخشى ان يفلت لهيب حقدها وسألتني بأسى :

ــ مارأيك ؟

ــ رأيي انا .؟ وخنقتني الدموع . شعرت بصـــدري كصندوق ضاق بمحتوياته فانفجر يبصق كل مافيه .

ــ رأيي ان دمشق ليست كلها شارع ابي رمانة .

دمشق ملاحة خاني



مُناقشات

حول البحث عن فلسفة عربية

بقلم

مطاع الصفدي

١ – بين الوعي والعمل

ماعرف التاريخ امة ، استطاعت ان ترسم تحولاً جذرياً في سير الحضارة ، دون ان تكون هذه الامة تملك نوعاً من الوعي او الارادة . وعي بامكانياتها الحضارية ودورها التاريخي ، او ارادة وجودية في تحقيق مخطط آخر للحياة . وطرح مثل جديدة امام مسؤولية جماعية من الانسانية التي تتجه اليها ، في ذاتها اولاً ، وفيما حولها ثانياً من الامم الاخرى .

ولقد اتخذ الوعي هذا ، والارادة هذه ، اشكالاً مختلفة من التبلر والظهور على مسرح التاريخ . وتراوح الوعي المحرك للشعوب ، من حدود الاشعاع الغريزي ، المسوق بفضل القوانين الحيوية او الاقتصادية ، الى مستوى الرسالة النبوية ، الى الوعي الذاتي القومي بصوره المتباينة ، الى الوعي القومي الانساني .

وماتحركت امة كذلك ، الا وهي تستشرف لها أفقاً مغايراً تسعى ان تمد اليه وجودها . غير ان اية امة كذلك لم تصطنع لذاتها تلك الحركة ولا ذلك الطموح ، ولكنها عانته كفيض من الامكانيات . وعبرت عنه ذهنياً وفنياً ثم حولته الى عمل وسياسة ودولة . حتى ان تحقق امة من الامم على مسرح العالم ، وفي نقطة فاصلة من تاريخه ، انما يعلن بطبيعته عن نظرة فذة في الوجود ، ويكشف عن مغالبة خلية جديدة في عضوية الانسانية . ومن جهة اخرى ، فان وجود الامة يتخطى دائماً جميع اشكال تحققاتها المادية ، الجزئية والفردية . **ان الامة هي وعيها اولاً ، وقدرتها على تحقيق هذا الوعي في مجاله العملي ثانياً.** ولذلك كان البحث عن الفلسفة القومية الأمة ، هو ذاته دليلاً على وجود هذه الفلسفة ، كما هو دليل على ان القومية العربية لا تعني قط مجرد تجمع غريزي لغايات حيوية مباشرة ، بل هي نفسها منزع لمبدأ . وان هذا المبدأ هو شكل من الفعالية الانسانية الذاتية والموضوعية معاً ، اي مايخص البناء الروحي الداخلي ، والتنفيذ الواقعي والنسبي في الخارج ، في المادة التي تباشر الامة تحققها النموذجي في ليونتها واستطاعتها على التكيف ، مع شروط العصر العميقة .

وفي الواقع ان ظهور امة جديدة يحيل جميع موجودات الأمم الاخرى ، من ذهنية وعملية ، وخلاصة محصلة العالم الحضارية الى مادة خام اولى . مادة قابلة للصنع مجدداً ، بحسب مشروع قادر على قولبتها ضمن نموذجه الخاص فكما ان لوحة منتهية ، قد تغير من تكوينها الكلي ومعناها الفني ، اضافة نور لوني جديد ينبثق من زاوية بالنسبة لمجموع اللوحة ، وكذلك فان تحقق امة يغير من صورة العالم كله

وعندما نقول تحقق الامة لا نعني فقط تأسيس الدولة السياسية لها . ان التحقق هو عملية الوعي الداخلية التي تحوز على شرطين معاً في شرط واحد . الشرط الذي يجعلها امة في مقياسها الذاتي النابع عن ميزاتها وحصيلتها التاريخية الخاصة . والشرط الذي حقق وجود العالم بالنسبة لامه وانسانيته . فلكي تتحقق امة في العالم ، ينبغي ان يتحقق العالم اولاً تلقاء وعيها من داخل . فالاضافة من النور على اللوحة لايمكن ان تأتي من الخارج ، والا بقيت خارجية ، وبقي اثرها خارجياً ، مجرد تشويه لشيء مغاير له تماماً .

ان ظهور امة جديدة يعني تجديد التاريخ ، يعني انفتاح التاريخ على مقياس آخر من القيم ، واكتسابه مركز طاقة في صميمه ، يدفع حركته باتجاه خاص .

ان تبلر العرب كافة ضمن دعوة الاسلام ، فيما مضى ، كان مظهراً يمثل تفاعل العالم ، كتاريخ ، داخل الامة ، وقد اخذ شكل الثورة والانقطاع ، ولكن بقي الانقطاع ذاته نتيجة لتفاعل العالم داخل وعي الامة . ولكن العالم من جهة ثانية ، بعد الاسلام ، هو عالم جديد ، عربي اسلامي الى حد بعيد .

وان تبلر العرب اليوم ، ضمن القومية الانسانية ، يمثل تبلراً جديداً بالنسبة لواقع التاريخ الانساني المعاصر . ولهذا لن يكون وعي الامة العربية لذاتها فعالية مغايرة لوعيها حقيقة المحصلة الانسانية للعالم ، ودورها منها .

وان اول صورة لعملية الوعي المزدوجة هذه كانت في الاقبال على الفلسفات الغربية ، باعتبار ان هذه الفلسفات هي التي تمثل العالم عصرياً . ان الاقبال ، ان كان في اصله طبيعياً ، يعبر لا عن الفقر ، بل عن طلب الغنى ، طلب الوجود الاحق ، فانه في الطرق والمكتسبات ، التي حصل عليها ، قد اضاع كثيراً من هدفه الاصلي . فلقد اصبح الاقبال على وعي الغرب ، كمحرك لوعي الذات ، غاية في نفسه ، وانخلاعاً عن الاصل ، اصل الدافع القومي . كما ان شدة الاكتساب طمرت التربة الاصلية ، وكادت ان تخنق البذور الاولى .

وبالمقابل هناك ظاهرة اخرى يبدي بعض المثقفين تشككهم فيها ، وهي عدم التعادل بين قوة الدولة السياسية . وأثرها العالمي للامة العربية ، وبين ضآلة الفعالية الحضارية في الداخل . حتى ان العمل سبق النظر . ولا يسبق العمل النظر الا في حالة كون هذا العمل نتيجة اندفاع غريزي موقت .

والواقع ان هذا التحليل سطحي ، وذلك ان الوحدة الثورية هي التي طبعت حركية الامة العربية سياسياً وتوعية . وما كانت الثورة من البعد عن المعطى اليومي للجمهور حتى تحتاج الى توعية لانهائية . بل ان القوى القومية للامة العربية ما كان ينقصها الا المحرض الخارجي ، حتى تحقق ثورتها . ولقد كان الوعي هنا فعالية لاصقة بفعالية الثورة . فكما يكفي ، برأي الماركسية ، ان ينتمي المرء الى الطبقة العاملة حتى ينقلب الى فرد ثوري ، كذلك فانه يكفي للفرد العربي ان ينتمي الى امته ضمن شروطها الاستعمارية والتخلفية الحاضرة حتى يصبح من جيل الثورة . والانتماء هنا ، هو الوعي . فان ينتمي فرد الى امة ، هو ان يعي معناه بالنسبة لمعناها ، ودوره بالنسبة لدورها الشامل . ومن هنا كانت هذه الحقيقة الصارخة الواضحة ، وهي انه ماقاد الثورية العربية فكر معزول عن العمل ، او عمل معزول عن الفكر . وكان الفكر يقدم دائماً المستوى المتكافىء من الايدلوجية للمرحلة النضالية . حتى ان باكورة النضال القومي كان يكفي افراده مجرد حماس الشعور المساير لصبوة المثل الاعلى الغامض وكان عمل هذا الشعور هو التفريق الفاصل بين قبح الواقع الفاسد ورفعة المثل ، وحياة المناضل ، ليس الثورة تماماً ، ولكن التمزق ، التمزق بين طرفي شعوره الذاتي بالتناقض الانساني . وبقدر ما كانت الشروط الخارجية تؤزم جذوة النضال ، وتوسع من مداه ، وتعمق من فعاليته ، بقدر ما كانت الحاجة الى وعي اشمل واعمق ، تنطلق في وجدان الجيل . **فكانت الثورية اذن مزدوجة الهدف ، انها ثورية لاجل قلب الواقع ، وثورية لاجل الوعي بذاته** . ولذلك نرى ان اكثر فئة انهمكت في النضال وقيادته كانت من الشباب المثقف ، لا لان الثقافة هي واسطة للثورية العملية ، بل لانها هي ذاتها ثورية ، الثورية الاشمل والاعمق . حتى كان النضال العربي يتحد مع فئة المثقفين من الشباب ، ويتحمل ميزات هذه الفئة وسيئاتها كذلك ، التي قد تنجم احياناً عن خطر السفسطة والتردد ، والاغراق بالطوبانية ، او بالفردية السوداوية .

فان كنا نبحث عن فلسفة عربية ، فلنبحث عنها في انفسنا اولاً . وليس هذا نتيجة لموقف يقوده الغرور القومي ، بل هي نتيجة واقعية للدور العالمي الذي تلعبه القضية العربية ، ان تفهمنا الفلسفي لهذا الدور يكشف عن طابع الاصالة في مباذهة الامة العربية المخطط التكويني الذي يتوزعه واقع العالم . واذا كان لامة ، ضمن مواقفها واعمالها ، تأثير على هذا المخطط ، فمعنى هذا ان هناك اتصالاً داخلياً بينهما ، ان هناك انسجاماً وجودياً بين المؤثر وقابلية التأثير .

واذا كانت الامة العربية تستطيع هذا التأثير ، وتمارسه عملياً ، كما تؤكد ذلك العلاقات الدولية السياسية منذ بعيد فهذا يدل على ان الامة تملك اصالتها الخاصة ، التي ليست هي غريبة عن الحاجات الانسانية التي تأزمت حولها اوضاع العالم ، لا من حيث السياسة بل من حيث الوجود والتحول الحضاري .

ومن مهمة الوعي الاولية هي ان تكشف عن هذه الاصالة في الوجود والفكر والعمل .

ان ايجاد فلسفة للامة يعني ايجاد الامة كمبدأ ، بعد ان كانت مجرد احداث مبعثرة وظروف متباينة . والمبدأ هو الذي يكشف عن الرابطة الرحمانية بين تتابع هذه الاحداث وتباين الظروف بالنسبة لانكشاف ذاتية الامة ، وتحولها الى مبدأ انساني ، يعيه مفكرون ، وينفذه أبطال .

وبقدر ما تتحقق الامة كمبدأ لوجود أفرادها ، بقدر ما يتضح سير تاريخها لقادتها ، وتعظم فعالية رسالتها في الحياة الانسانية عامة .

ان الضلال الذي يغشى بصائر بعض المثقفين ، فيبحثون عن عقيدة لهم خارج اطارهم الطبيعي ، وخارج مدار فكرهم القومي ، فانهم يعانون مرضاً مزدوجاً . انهم مرضى اولاً لانهم مااستطاعوا ان يشاركوا امتهم في تجربتها النضالية الخاصة ، وبالتالي ما استطاعوا ان يدركوا خصوصيتها ، في حركتها وثوريتها وبنيتها الوجودية . وهم مرضى ثانياً بنوع من الطوبائية السلبية ، لانهم يفرون من واقعهم القومي لواقع آخر بعيد ، مجرد ، ويحمل طابع الارواء لحلم هلوسي ، يمزق صاحبه الشعور بالحرمان الكامل ، حرمان من الكرامة والقيمة القومية .

وفي الحقيقة ان البحث عن فلسفة قومية لايعني قط الانخلاع عن السياق التاريخي الشامل للانسانية كلها ، ولكن بدلاً من ان نتحرك كذرات منفعلة في هذا السياق نحاول ان ندرك مكاننا فيه ، وقدرتنا على المساهمة في توجيه هذا السياق وجهته ألاحق .

ان عملية الوعي القومي ذات مدارين تقطعهما وتستنفذهما في حركتها الواحدة . فهي في الوقت الذي تباشر تحقيق امكانياتها الذاتية وحريتها الخاصة تفترض وجود السياق الانساني حولها . وقد اصبح التداخل في التأثير بين أمم العالم سياسياً واقتصادياً واجتماعياً او حتى وجودياً ميتافيزيقياً ، من القوة بحيث ان كل امكانية جديدة أصيلة تمارسها امة من الامم تلزم العالم كله بنتائجها . والامم التي تنكر مساواة شخصيتها التاريخية بغيرها من الامم ، والتي تمارس فعالية مضادة لحركة العصر ، هي التي تخشى اكثر من غيرها من شدة هذا التداخل والتأثير بين القوميات ، وتقاوم كل فعالية فاصلة ، قد تغير فعلاً من مخطط العالم السياسي ، وبالتالي الوجودي .

غير ان الوعي الصحيح لمعطيات التجربة القومية ، هو الذي يستطيع ان يستقطب فعلاً العلاقة العميقة بين بعث امة ، وبين عالم يقبل هذا البعث ، يقبله لأنه يعبر عن فاصلة اساسية في روحية عصره الموجود .

وثمة من يقول ، بالمقابل ، ان وضع العالم التاريخي هو الذي يحدد اذن بعث امة او ثوريتها . فكأن المبادهة خارجية دائماً ، وكأن الامم حقاً قد فقدت اطارها الشخصي واصبحت وحدات سريمية في سياق المصير الشامل للعالم .

ان الرد واضح على هذا الاعتراض ، من النص السابق نفسه **فلكي تثور امة ، لكي تتخذ لذاتها فعالية مؤثرة في التاريخ الانساني ، يجب ان تكون موجودة اولاً** . وهذا يعني ان ثوريتها بنت وجودها الخاص ، انها محصلة شروطها الروحية والمادية التابعة لتطورها الذاتي وحده ولكن هذه الثورية ذاتها ، تصبح مفاجأة حتى للامة فكيف للعصر . والوعي وحده ، اي الفلسفة العربية للأمة العربية ، هو الذي يكفل تخفيف حدة هذه المفاجأة ، انه يكشف عن الحتمية الصادقة في الحرية نفسها . يبين شدة التطابق بين هذه الثورية الكامنة في الامة والعالم معاً .

والوعي هذا ليس مكتسباً عن طريق ثقافة نظرية وحدها . ان كل وعي حقيقي ينبثق عن موقف حي . والموقف الحي يعني توفر تجربة صادقة . والتجربة الصادقة بالنسبة للواعي العربي هي نضاليته الفاتحة . وليس ثمة أمة اتصل وعيها بنضاليتها كالأمة العربية . وليس ثمة جيل اتحد وعيه ونضاليته كالجيل العربي المعاصر .

فالقلق الذي تثيره مشكلة خلق فلسفة عقائدية متكاملة ، تغلب عليه صفة الاصالة عند المناضلين ، وتغلب عليه صفة الاصطناع والضحالة عند المزيفين . ويعجب المثقف المناضل من الفيض المزيف من الكتب القومية التي تغمر أسواق العرب هذه الايام . تلك التي لم يتميز أصحابها من خلالها الا بحس تجاري ونفخة غرور كبير . وقدرة استثمارية للمادة والجاه معاً .

ويعجب أكثر عندما يرى ويسمع ويلاحظ كل من هب ودب قد أصبح بحاثة قومية ، او انه عربي ، او انه قومي عربي . ويكاد هذا الشعار العظيم ان يصبح وسيلة لكل انواع

الدعاوة الباطلة . فان يكن الجمهور العربي قد كشفت له الحوادث معنى قوميته وقوتها ، فان طبقة من الطفوليين تحاول ان تعوم على سطحه , مستثمرة حدسه البريء بأصالته ، مدعية كل الشعارات التي دفع الجمهور ثمناً لحقيقتهـا دمه وعمراً حافلاً بالمشقة والقلق الخلاق .

ان شرط كل محاولة لتوعية الوجدان العربي عن طريق ايجاد فلسفة صحيحة تعبر عن الذهن العربي المتفتح للحياة والانطلاق وابداع الحرية ، هذا الشرط يكمن دائماً في صدق تجربة المفكر اي لايمكن للفكر العربي ان يكـون حقيقيـاً وان يؤثر في التوجيه الروحي للأمة ، وبالتالي في الانسانية ، ان لم يتصل بأرومته الطبيعية التي هي النضالية المشروعة . ومن العبث والباطل ان تكدح العقول ، وتسود الصفحات ، وتحملق العيون في كلام ارسل للضجة والمال .

ولا تعني النضالية فحسب العمل الثوري ، المادي المباشر ، بل ان الفكر العربي يشترط ثورية في مناهله ، وطرق اكتسابه وتوجيهه . فهناك ثلاثة مصادر أساسية ثقافية وروحية ، لابد للمفكر الاصيل ان يستنفد معانيها ومعطياتها العميقة ، ويقيمها بحسب مقياس عربي تنظمه التجربة المعاصرة لنضالية الامة . واما هذه المصادر فهي التاريخ العربي الذي يكشف لنا عن المنحى التطوري لتحقق الروح العربية ، عن مثلها واخطائها ، بحيث تقدم لنا مثلاً عن حضارة كاملة ، نموذجاً عن وجود تاريخي غني بالتجربة ومصدر ثان هو محصلة الثقافة العالمية ونتائجها الانسانية . وفي الاقبال عليها ، ومعرفة حقائقها من اخطائها ، ملامحها التاريخية من شوائبها ، لاغنى لنا عن وجود هذا المقياس الواضح الكاشف للجوهر الحقيقي ، ليس هذا فقط ، بل ويقدم لنا تلك المقارنة بين جوهر ما وقدرته على التفاعل مع تجربة العرب البعثية ، وتلك هي اشق واخطر مهمة ، ضل في متاهها كثير من المثقفين والقواد العرب .

والمصدر الثالث ، هو عمق المشاركة في التجربة العربية المعاصرة بل ان نقطة الانطلاق لكل تفكير عربي مغير ومشروع ، يجب ان تبدأ من عمق هذه المشاركة الفعالة .

وتلك هي الفكرة الاساسية التي حاولنا ان بنينها في هذا العرض الجدلي .

الثقافة

مجلة ثقافية ادبية شهرية

دمشق ص . ب (٢٥٧٠) هاتف ١٦٢٩١

تصدر في دمشق

١ ــ الاشتراك في الاقليم الشمالي ١٢ ليرة سورية

٢ ــ الاشتراك في الاقليم الجنوبي والاقطار العربية جنيهان او ما يعادلها .

٣ ــ جميع المراسلات الادبية والمالية باسم صاحب المجلة ورئيس تحريرها :

مدحة عكاش

٤ ــ تحتفظ الادارة باعداد محدودة من العددين الاول والثاني ترسل لطالبيها .

• تصدر في أول كل شهر

«فتحي محمد»

شعر

فاضل ضياء

هناك .. في بلدة بعيـــدة
بُعد الشفا عن يــد قعيده

هناك .. في مدفِن الأماني
والروح ، والقلب ، والعقيده

حيث « الأنا » والغنى آله
والعمر يُزجى خطاً وئيده

هناك .. حيث العقوق دين
والرفـق بالعبقري ، مكيده

هناك ، لاهنــا ، قصور
على ضفاف الأسى مشيده

حول مراعي الشقا تمطت
تجترّ احلامهــا البليـده

هناك .. في مقلع السجايا
حيث الأذى خصلةٌ حميده

هناك ، لاهنـا ، ولكن
بالقرب من بلدتي العتيـده

افـاق وادي الظلام يومـاً
على صدى فرحـة وليـده

ماذا جرى ؟ فالضحى عجيب
لا كالضحى . . والربا سعيده

وراقصـات النسيم وَلهـى
ترعى من الاقحوان جيده

والغصن في سكرة وَدَلٍّ
والعطر في صَبوة عَميـده

ماذا جرى ؟ ياربي اجيـبي
ماقصة الفرحــة الأكيده

فالبلبل المستهـام يتـلو
على ورود الضحى نشيـده

والجدول المستخفّ يُـلقي
لضفــة المنحنى بريـده

مـاذا جرى ؟ ياربوع قولي
فالنحل في نشوة غيـده

ومهرجان الفراش عيـد
تحيـاه أزهارنـا الفريده

هل حل في روضنا جديد ؟
اني رأيت الدّنى جديده !

★ ★

اي والضحى .. قالت السنونو
في جيرتي نوَّرت قصيده !

* *

فتحي !. وهل انت غير شعر
غنت قوافيه مستزيده ؟!

في مقلتي ، واكف ، حبيس
والصبر لا يبتغي مريده !

ومهجتي ، جمرة تلظى
وحسرتي زفرة مديده

لا ، لا تسل من انا ! حزين
قد حز هذا الردى وريده

هــل ادعي انني صديق ،
وبيننا صحبة وطيده ؟

لا ، لاتسل ! فالجواب يؤذي
وقولتي لم تعد مفيده !

انا لدى الحاسدين قبر
اقصوه في بقعة حصيده !

انا كأي امرىءٍ ، تعيس
يرتقب الحتم ان يكيده !

لكنني شاعر .. ابي ،
يوم الفدا ، صرختي نديده
في معبد الفن لي صلاة
علوية المرتقى ، مجيده

* *

يا ايهـا العبقري عفواً
عفوَ جراحاتك الخضيده
لا ، لن ازيد الجراح ملحاً
حاشاك ترضى بأن ازيده
ايحجز الميت المسجى
لسطوة القرش .. ياعبيده ؟!
او تحجز الجار في دمشقٍ
ازميل نجواه .. لا حديده ؟!
ويلي على العمر حين يشقى
حيال ابوابه الوصيـده !
كيف تعيش الورود نشوى
في نبع امواهنا الصديده ؟
وهل يغني الهزار لحناً
واذننا لا تعي قصيده ؟

* *

فتحي ، وفي مقلتي يأس
واليـأس لا يفتدي طريده
انا لمن معشر غريب
يسقي الردى من يد رشيده
حتى اذا ما طوى حياةً
بكى على الجثة الفقيده !!
ماذا تراني اقول شعراً ؟
يا ضيعة النكبة الشديدة !
أأذكر العمر كيف ولى
في عيشة ، غثةٍ ، شريده ؟

ام اكتفي بالنبـوغ يشقى
على يـد المنحة الزهيده ؟!
ويـح الليـالي ومـا تمني !
انّ المنى قِمة عنيـده !

* *

ياموطني ، والنـداء عتب
ياموطني ، والخطا سديـده
أراكَ منـذ العصور ترعى
مصارع الفن ، كي تُبيده !
اما كفتك الغـداةَ دنيا
أودَتْ قرابينها العديده ؟
ام في كتاب الآله شرع
ان يَصطلي العبقري جديده ؟!
وْيلي على فتحيَ المعـنى
ويلي على روحه الشهيده !
ياموطني ، والنـداء نجوى
في العين تبقى رؤى وحيده
حتامَ يَعتـدّ كلّ قزمٍ
ويَرتئي الخنفشارُ عيده ؟!
أكلّ منْ خارَ في احتفالٍ
أو خطّ سطرين في جريده
أضحى مِنَ المبدعين أسمى
يختال في نعمةٍ مزيده ؟!

* *

يا أيهـا المدّعون مهلاً
ماجولة الملتقى بعيـده !

فاضل ضياء

حلب من **« الاصدقاء »**

منهج ليفين في دراسة الجماعات

(القسم الاول) ترجمة الاستاذ : **ناظم طحان**

١ – مكانة ليفين في علم النفس الاجتماعي الامريكي .

يشتهر علم النفس الذي قال به ليفين Lenvin وهو من اصحاب النزعة الجشتالتية بالغموض ، في حين أن علم الاجتماع الذي دعا له ذو خطة أكثر وضوحاً . حقاً ان كلا من صيغتي ليفين تتضمن ، بشكل مكثف ، جملة كبيرة من الافكار ، والملاحظات ، وأن المرء اذا لم يدقق في التفاصيل بانتباه متواصل فسرعان مايفلت منه معناهما . ويبدو (ليفين) أول من حاول اعادة التفكير في مسألة مراقبة المواقف مراقبة علمية ، أي مسألة وسائل نضال الناس في سبيل ضبط أحوال الدينامية الجماعية ، وشروطه ، اعادة كلية (تبعاً لأحدث المعلومات المستقاة من علم النفس الاجتماعي ، وتعاليم تاريخ القرن العشرين بآن واحد معاً) . ان نظرات ليفين في هذه المشكلة التي كرس لها تفكيره وابحاثه خلال الفترة الاخيرة من حياته ، قد استمرت على وجه الحصر تقريباً . في مقالات نشرت في مجلات وقد نشر بعضها في مجلد واحد بعنوان «حل احوال الصراع الاجتماعي Resolving Soctal Couflicty ولم ينشىء ليفين مذهباً بالمعنى الصحيح ، ومع ذلك ، فان دراساته تنزع نحو نظرية تركيبية في طريقة مباشرة بحث المسائل الاجتماعية بحثاً علمياً بغية انماء النظام الديمقراطي واكسابه اسباب المنعة . وكل صفحة يكتبها (ليفين) تتضمن بذرة ثورة ممكنة في قطاع من قطاعات علوم الانسان .

ويصرح G. W. Allport أنه اذا كانت ابحاث ليفين تشير الى تاريخ هام جداً في تاريخ العلوم الانسانية فذلك بسبب الامكانيات التي تقدمها المفاهيم ، والطرائق التجريبية التي اكتشفها صاحب كتاب مبادىء علم النفس المجالي Pcychology Principles of Topological فيما يتعلق بدراسة التبعية المتبادلة بين ماهو شخصي وماهو اجتماعي : وتعتبر محاولاته في استخدام الرياضيات في علم النفس الاجتماعي خصبة يبلغ خصبها حد الغرابة .

ويضع G. W. Allport (ليفين) على مقربة من فرويد مباشرة من حيث المكانة ، ويعتبره أهم وجه في علم النفس الحديث

ويلاحظ Edward C. Tohwan بهذا الصدد على نحو ذي دلالة خاصة مايلي : يبدو لي أن اسمين سوف يسيطران على جميع الاسماء الاخرى في التاريخ المستقبل لعلم النفس في عصرنا ، هما اسما : فرويد K. Lewin , S. Frud فسوف يمجد اسم فرويد لانه أول من حل عقد تاريخ الافراد ، وسيشاد باسم ليفين لانه اول من رأى القوانين الدينامية التي يتصرف الافراد تبعا لها كما يتصرفون ازاء الصفات المميزة الحاضرة لوضعية من الوضعيات ففرويد العيادي وليفين المجرب هما الرجلان اللذان سوف نتذكرهما على الدوام لان أبحاثهما المختلفة والمتكاملة قد جعلت من علم النفس أخيراً علما قابلاً للتطبيق على الافراد الواقعيين وعلى المجتمع الواقعي .

ومن النادر تماماً أن تجد في الكتابات العلمية الامريكية تقريظاً من هذا النوع . ولاغرابة في ذلك فقد كان تأثير ليفين في علم النفس الاجتماعي الامريكي كبيراً جداً على صعيد البحث النظري كما هو على صعيد التطبيق العملي ، وقد ساهم اكثر من أي باحث آخر في وضع هذا العلم موضع التداول والفائدة ويعد مركز أبحاث دينامية الجماعة Research Center for group dynamics ، الذي اسسه احد المراكز الرئيسية التي يشع منها تأثيره ، ويتعاون العلماء منهم على تقوية آثاره وزيادتها .

ولد في بروسيا عام ١٨٩٠ ومات عام ١٩٤٧ في الولايات المتحدة الامريكية حيث امضى فيها الخمس عشرة سنة الاخيرة من حياته وحصل على الجنسية الاميريكية . وقد اشتهر في البدء كعالم نفس ثم اخذ يتجه شيئاً فشيئاً خلال وجوده في أمريكا نحو دراسة المسائل الاجتماعية . وانه لامر ذو دلالة كبيرة ان ينتهي آخر مقال له مثلا بنظرة سريعة لآرائه في التنهيج الاجتماعي ، والمعالجة العملية للمواقف الجماعية ، وقد نشر هذا المقال في مجلة العلاقات الانسانية .

ان دراسات تتجاوز بكثير اطار الميكروسوسيولوجيا وقد أمل ان يهيىء الاسس لتكامل العلوم الاجتماعية المختلفة حتى تتاح الفرصة لاناس يهتمون بعلوم مختلفة التصدي معاً

للمسائل الانسانية الهامة بغية ايجاد حل عملي لها . ويرى (ليفين) ان التقدم الذي تم منذ عشر أو اثنى عشرة سنة في ميدان العلوم الانسانية يشكل ظاهرة يمكن اعتبارها ثورية كالقنبلة الذرية .

ب ـ ليفين والميكروسوسيولوجيا

على الرغم من ان كتابات ليفين تنصب على مجموع علوم الانسان ، فانه يبدو لنا مشروعا دراستها ، ضمن اطار حديثنا هذا وقد جعلناه لامتحان بعض مظاهر المنهج الميكروسيولوجي في بحث مسألة مراقبة المواقف الجماعية . في الواقع ، ان التجارب التي انصرف اليها ليفين ، أو اشتقها مريدوه من دراساته ترتكز بوجه خاص ، على ملاحظة ، الخلايا الاجتماعية الصغيرة جداً وبالاضافة الى ذلك ، فان المفاهيم التي انضجها قد استخدمت من قبل المتخصصين بدينامية الجماعة ، وهاهي ملاحظة يذكرها ليفين تبين لنا ، رغم انها تضع الجماعات المجسدة الصغيرة المشكلة على أساس التفاعل الاجتماعي الذي يربط بين الافراد الذين على على اتصال مباشر فيما بينهم ان هذه الرهوط (الجماعات) تمثل رأيه كله فى الظواهر الاجتماعية يقول : للاجابة عن كل الاسئلة كالتي يثيرها تأثير ثقافة معينة في تنشئة الطفل ، علينا ان ننظر في الوضعية بجميع مستلزماتها الاجتماعية والثقافية ككل دينامي مجسد ، علينا ان نفهم العلاقات الدينامية المتبادلة القائمة بين مختلف أجزاء الوضعية ، وخصائصها ، هذه الوضعية التي يعيش فيها الطفل كجزء منها . وهذا التحليل ينبغي ان يكون جشتالتياً لان الوضعية الاجتماعية كالوضعية النفسية تمثل كلا دينامياً . وهذا يعني ان التغير الذي يطرأ على أحد أجزائها يستلزم تعديلا ينتاب الكل ويرى (ليفين) أننا لانستطيع فهم مواقف فرد أو رهط الا بالاستناد الى المجموعات الاجتماعية التي يشكل هذا الفرد أو ذاك الرهط جزءاً منها ، وبالمقابل ، لايمكن فهم هذه المجموعات الاجتماعية الا بالاستناد الى الافراد والرهوط الصغرى المجسدة التي تضمها تحت لوائها . ويتعلق شكل الوضعيات المجسدة بشكل الوقائع الاجمالية التي تحيط بها ، ويتعلق شكل الشخصية بشكل الوضعيات الاجمالية التي بعثت فيها الحياة دينامية خاصة ومن جهة أخرى فان هذه الوضعيات المجسدة وديناميتها تابعة لشكل الشخصيات التي تتضمنها وديناميتها وهناك علاقة أساسية بين مختلف طوائف الواقع البشري ، هي علاقة تجاوب نفسي وتبدو هذه العلاقة بأحلى مظاهرها في الرهط الصغير المجسد في الخلية الاجتماعية وهي موضوع الميكروسوسيولوجيا . وعن طريق هذه المقاطع التحليلية المطبقة في الوضعيات المجسدة (وهي طريقة يحبذها (ليفين) نستطيع ملاحظة هذه العلاقة بسهولة مابعدها سهولة . ولم يغفل (ليفين) عن ان يولي الاهمية الاول في أبحاثه في علم الاجتماع ، الى ملاحظة الرهوط المجسدة ذات الاتساع المحدود . ونستطيع هنا ان نلومه لانه بالغ في التطوع لاستخلاص فرضيات تتصل بجماعات كبيرة كالأمم مثلا من ملاحظات وضعها حول جماعات محدودة جداً ، دون ان يتخذ الاحتياطات الكافية .

وبقي ان نشير الى ان طرز التأثير التي تصورها ليفين لاثارة تغيرات في المواقف ، بصورة علمية ، كانت قبل كل شيء مبكروسوسيولوجية وقد ألح (ليفين ، وهو لايركن الى الدعاوة الكلاسيكية . والانقلابات الاوضاعية أو الثورات من النوع العادي ، الحاحاً كبيراً على الامكانيات التي يقدمها استخدام رهوط صغيرة شاهدة ، والافراد الذين اعدوا اعداداً خاصاً وغدوا يشكلون ضمن الجماعة أنواعاً من الذرات ذات الاشعاع الفعال التي من شأنها احداث انفجارات تتزايد اهميتها حتى تبلغ حد تعديل بني وضعية ما والمواقف التي تقابلها تعديلًا كاملا . والوسيلة الفنية التي يلح عليها فيما يتعلق بالفعل المحول (بكسر الواو وتشديدها) هي وسيلة (الحلقة الدراسية) فهي في مظاهرها الرئيسية « ميكروسوسيولوجية » بشكل واضح . ولهذا فاننا نفضل دراسة نظريات (ليفين) الاجتماعية في هذا الحديث لافي غيره مع اعترافنا الأكيد بالمدى العام لهذه النظريات . وسنقسم عرضنا لأبحاث (ليفين) الى ثلاثة أقسام هي :

ا ـ السمات الرئيسية لنظريات ليفين النفسية الاجتماعية وبوجه خاص مايتعلق بالمواقف الجماعية .

ب ـ المنهج الليفيني في دراسة المواقف .

حـ ـ نماذج التأثير التي يتصورها (ليفين) للحصول على تعديلات في المواقف الجماعية .

حـ ـ السمات الرئيسية لنظريات ليفين النفسية الاجتماعية وخاصة مايتعلق فيها بالمواقف الاجتماعية

(١) نظرة عامة

عني ليفين جيداً بتحديد مقصده الدائم من كثرة اظهار العلاقات البنيوية القـائمة بين الصفات المميزة لبعض الرهوط الاجتماعية وبين بعض الصفات المميزة لاعضائها بوصفهم كائنات اجتماعية ، فهو لم يكن يهدف من وراء ذلك الى الاجابة عن أسئلة

من نسق تاريخي يتصل بالتسلسل السببي للحوادث ، بل الاجابة فقط ، وعلى وجه الحصر ، عن اسئـــلة من نوع نسقي تتصل بدينامية العلاقات المتبادلة .

هذه الصلة الدينامية تقع في اطار مكان نفسي اجتماعي تتوضع داخله الحوادث التي تطرأ على الواقع الانساني في لحظة ما ، بعضها الى جانب بعض ، في اوضـــاع يتعلق رسمها بتيارات (التوتر ، والنفرة ، والجاذبية ، والقسر الخ ..) القائمة بين كل عنصر ، وتحدد الدينامية التي تعكس هذا الجزء من الانسانية الى حيز الظهور . وهذه الحقيقة النفسية الاجتماعية التي تشكل الوجدانات الفردية جزءاً منها ، تمتلك القدرة على خلق حركتها الخاصة بها . وسلوك الافراد بوصفهم كائنات اجتماعية ، تابع لهذه الحركة المستقلة عن الارادات الفردية ، تابع لهذه الحركة التي تكون محصلة جملة الديناميات المتفاعلة .

وينبغي ان يتيح تحليل هذه العلاقات المكانية الاجابة عن السؤال التالي : لماذا يحصل كذا سلوك في وضعية وقتية معينة ؟

وهناك سؤال مكمل للسؤال الاول لم ينظر فيه (ليفين) الا بشكل ثانوي ، رغم انه قد اشار الى اهميته . وهذا السؤال هو السؤال التالي : لماذا تتمتع هذه الوضعية بهذه البنية في تلك اللحظة المعينة ؟ وما هي السيرة التي قادت كل عنصر الى ان يحتل في تلك اللحظة بالضبط تلك الوضعية في المكان الوضعي المعتبر ، ومن اين أتت الدينامية (الجاذبية ، النفرة ، والتوتر ، والقسر الخ) التي اصابت هذا العنصر ؟

هذا التمييز بين صعيد السببية التاريخية ، وبين صعيد السببية النسقية او الدينامية هو أساس مذهب (منظومة) ليفين النفسي الاجتماعي وبالتالي رأيه في تحريض المواقف .

والخلط بين هاتين السلسلتين من التسلسل السببي هي الصفة المميزة ، في رأي ليفين ، بين مايدعى بالعصر الارسطاليس لعلم النفس الاجتماعي ، وبين العصر الذي يقابله وهو العصر الغاليلي لهذا العلم . وهو عصر يبدأ في عصرنا بعد المرور بعصر انتقال كانت الابحاث فيه وصفية على وجه الحصر .

ان علم النفس الاجتماعي الحديث الغاليلي ، يبحث عن تعليل ظواهر السلوك في التفاعلات المتعددة الـــتي تحدث بين عناصر وضعية ما في لحظة ما لا في « طبيعة » كل من هذه العناصر مستقلاً عن غيره . وبعبارة اخرى ، لا يبدو الوسط في وجهة نظر ليفين امراً يساهم في اعداد المواقف وفي تحويلها عن طريق تسهيل ذلك او على العكس كف النزعات القائمة على الدوام في طبيعة شخصيته ـ فقط ، اذ لما كان للوضعيات ديناميتها الخاصة بها فان مواقف فرد ما في لحظة ما تابعة لعلاقته الدينامية بمختلف مظاهر الوضعية .

ويلخص ليفين فكرته في الصيغة التالية : س = تا (ف.و) باعتبار ان س ترمز للسلوك و (تا) للتابع ، و ف الى الفرد ، و (و) للوسط . وتنشأ الوضعية من العلاقة القائمة بين الفرد والوسط . فليست الوضعية اذن ما يحيط الفرد بل الجملة الدينامية التي يشكلها الفرد مع ما يحيط به .

وحدا (س) و (و) في المعادلة اعـــلاه ليسا متحولين مستقلين . ففي الواقع ان بنية المحيط ، كما هي مدركة ، تتعلق برغبات الفرد وحاجاته ، وبعبارة اخرى بمواقفه ، في حين ان مضمون المحيط يضع الفرد في حالة فكرية ما . وعلاقة التبادل الدينامية هذه تخلق الوضعية التي يكون السلوك تابعاً لها .

ان المواقف ، بوصفها تؤثر في السلوك تشكل نقطة التقاء السببية التاريخية بالسببية الدينامية . ويستخدم (ليفين) عرضاً مفهوم الموقف للدلالة على ميل فرد او على الميل المشترك الذي يظهره رهط ما ، نحو نمط من السلوك في وضعية معينة . ومع ذلك فان مضمون مفهوم الموقف ينتقل دوماً تقريباً في نظرية ليفين الى الفـــاظ دينامية . فنجد المواقف في بداية تسلسل الظواهر الدينامية التي تحدث سلوك الافراد وفي نهايته . وعلى صعيد الادراك تحدد المواقف المشتركة لدى رهط ما ـ وهي مخططات فكرية وعاطفية ـ الوجهة العامة التي يدرك من خلالها اعضاء الرهط الوضعية بمجموعها . والمواقف الدائمة لكل فرد تحدد وجهته (أفقه) الخاصة في الوضعية ـ وعلى صعيد السلوك توجد المخططات الجماعية ، والمواقف الشخصية في المجال الدينامي بوصفها تشكل ميلاً نحو أنماط ما من الفعل . وهذا الميل يخلق انجذاباً ازاء بعض الاشياء ونفرة ازاء بعضها الآخر . والحضارة المحيطة تنزع الى تسهيل اتجاهات السلوك هذه او الى معارضتها بعوائق تبعاً لدلالتها . ويمكن لمحصلة القوى القوى التي تهم فرداً ما في علاقاته بمظهر ما من مظاهر المجال الدينامي الذي يشكل جزءاً منه ، على ما يبدو ، ان تعتبر في منظومة (مذهب) ليفين موقفاً آنياً لذاك الفرد في وضعية معينة . ويتجلى هذا الموقف الآني عن طريق السلوك .

وليس هناك ، من وجهة نظر علم النفس الاجتماعي عند ليفين ، من حدود راسخة واضحة المعالم بين الوجدانات الفردية وما يحيط بها .

ويتشكل الشخص كما سوف نرى فيما بعد ، من جملة من المناطق بعضها يتفاوت في درجة ذوبانه في العالم الخارجي .

ويعلن ليفين في كتاب مبادىء علم النفس التوبولوجي (١) لقد رأينا في هذا الموضوع ، ان الغايات والمفاهيم التي غالباً مايعزوها علم النفس العامي الى صميم الشخص ، ينبغي ان نتصورها كأجزاء من المحيط ونستطيع من وجهة النظر الدينامية ان نعتبر الوقائع التالية : كل شيء نستطيع بحثه كما لو كان جزءاً من المحيط الذي يتحرك الشخص فيه او نحوه او خارجه . ونستطيع ان نتصدى لمشكلة معرفة ما اذا كانت منطقة ما من المناطق السيكولوجية تنتسب الى هذا الشخص او الى المحيط عن طريق المناهج التوبولوجية ذاتها التي نستخدمها في تحديد النقاط الاخرى «من ساحة السلوك» . وعلى هذا النحو نستطيع ان نجد في ساحات السلوك المختلفة فروقاً هامة في بنية الشخص وحدوده .

فالفرد اذن عبارة عن مجموعة من المناطق ليست مغلقة الا بمقدار ما . وتبعاً للمناطق المعنية بالامر ، وتبعاً لضروب التوتر التي تسود في الوضعية ، يختلف نصيبا العزم الشخصي ، والقوى التي تأتي من الخارج في تكوين السلوك . ويختلف عدم التنافذ بين حدود الأنا وحدود العالم الخارجي تبعاً للمناطق المدروسة من الشخص ، والحضارة المحيطة به ، والجو الآني . وعلى هذا النحو نمر بمراحل انتقال غير محسوسة من الفردي الى الجماعي ، ومن الشعوري الى الموضوعي ، والاشخاص والاشياء ، والاوضاع ، والمجتمعات ، والحوادث تشكل عناصر الوضعيات ، وتقوم بين هذه العناصر علاقات دينامية يحدد مجموعها بنية المجال النفسي الاجتماعي .

« وفي علم الاجتماع كما في علم النفس ، تتعلق حالة المنطقة ، والحوادث التي تنتابها بمجموع الوضعية التي تشكل المنطقة جزءاً منها . » ودرجة التبعية هذه تابعة لمتانة الصلة التي تربط الوحدة المدروسة : مثال ذلك قسم من الوضعية ، منطقة من الشخص ، حادث موضوعي ، الخ .. بباقي الوضعية .

والمبدأ الاساسي لنزعة ليفين الجشتالية واحد اذن ، بالضبط ، على الصعيد الاجتماعي وعلى الصعيد النفسي . فكل تغير يطرأ على الكل الدينامي - وهو كل عناصره مستقلة - في جزء منه يؤثر في الكل بكامله ، وكل تغير يطرأ على الكل يؤثر في كل جزء منه .

وتقاس اهمية النتائج الواقعية لهذا المبدأ في عنصر ما من الوحدة الدينامية المدروسة ، عن طريق التلازمات التي نستطيع ملاحظتها بين تحولات هـذا العنصر وبين تحولات الاجزاء الاخرى من الكل .

وهكذا نري ان المواقف ، من وجة النظر الدينامية عبارة عن عناصر في كل تتضمن وجدانات ، واشياء ، وهناك علاقات دينامية بين المواقف والوجدانات ، والاشياء الفيزئية والاجتماعية - كالأوامر والاوضاع ، والحوادث - تترابط فـيما بينها في تركيبات لاحصر لها ضمن اطار « جو حضاري ما » يشكل أساس جميع الوضعيات القائمة في لحظة ما في مجتمع ما .

وعلى هذا النحو يهدم ليفين الحواجز الكلاسيكية : فعلى ضوء نظرياته في المواقف لايظهر الا في ادوار الرهوط كنتيجة لآليات خارجة عن الوجدانات لا كافعال ذاتية صادرة عن هذه الوجدانات بل كاجزاء من وضعية تذوب فيها العناصر الموضوعية والعناصر الشعورية في واقع دينامي نوعي .

(٢) - الكليات الدينامية والمجال الاجتماعي

تنمي الوحدة مواقف تتفاوت في صرامة تبعيتها بخصائص الكل ، تبعاً لمتانة الصلة التي تربطها بهذا الكل . والتبعية المتبادلة ، في نظر ليفين ، هي جوهر ماهو اجتماعي . يقول : ان جوهر رهط ما ليس في التشابه القائم بين اعضائه بل في التبعة المتبادلة الجارية بينهم . والرهوط التي تشكلها كائنات تقوم فيها تبعية متبادلة هي « كليات دينامية » تتمتع بصفات خاصة ، تتميز عن خصائص أعضائها الفردية . ويؤكد ان وحدة هذه الكليات الاجتماعية يمكن ان تحدد تجريبياً بنفس الطريقة التي تحدد بها وحدات أي كل دينامي . أي بدءاً من قياس اختباري لصلات التبعية القائمة فيما بينها . والشرط الاول لنجاح هذا النوع العزوف عن كل قبلية تتمركز في الانسان في التعرف على ان خصائص الرهوط (كتنظيمها ، واستقرارها ، وغاياتها) أمر يتميز عن خصائص الافراد الذين تشملهم ، واستقرارهم ، وغاياتهم . وليفين قانع بوجود ساحة اجتماعية تتمتع بجميع خصائص الساحة الواقعية ، بالرغم من أنها لاتشكل حقيقة فيزيائية . وكشف القناع عما يجري على هذا الصعيد من الواقع هو المهمة التي يضعها على عاتقه علم النفس الاجتماعي . وعلى هـذا النحو ، تبدو لنا مواقف

الافراد والرهوط كما لو كانت تساوي في عددها عدد المظاهر المرئية من دينامية الحقائق الواقعة في الساحة الاجتماعية . على أنه اذا كانت الرهوط تشكل دوماً كليات دينامية فان الكليات الدينامية قلما تكون رهوطاً على وجه الحصر .

ان كل مجموعة من العناصر تقوم بينها تبعية متبادلة، تشكل كلا دينامياً فالشخصية مثلاً هي كل دينامي بوصفها يمكن ان تعتبر منظومة او مركباً من منظومات الاشكال وسلاسل الأفاعيل النفسية .

وهذا الكل يمتلك بناه ، وديناميته الخاصة . والكليات الدينامية الاكثر ضيقاً ، تشكلها المنظومات النفسية التي تؤلف الشخصية ، لها بناها الخاصة ، وديناميتها الخاصة أيضاً والوضعيات التي تجعل بين الكائنات ، والاوضاع ، والرهوط ، والحوادث من كل نوع ، علاقات متبادلة ، وان لم تكن في الاصل على صلة ضرورية فيما بينها هي كليات دينامية ايضاً تتمتع بصفات خاصة . ففي الوضعية ، وتبعاً لدينامية كل وضعية وبناها بالتالي ، وتبعاً لدينامية كل عنصر او منظومة من العناصر التي تدخل في هذه الوضعية وبناها تتكون المواقف وتتحول وعلى الاخص مواقف الرهوط .

وفي مقابل ما جرى في ميدان العلوم الفيزيائية ، حيث مضى وقت طويل على الجهل بحقيقة العناصر المجهرية للمادة . فان الحوادث الكلية قد تأخر الاعتراف بها على صعيد العلوم الاجتماعية ، في رأي ليفين ، ومع ذلك يضيف بان ليس هناك شيء اكثر سحراً يثوي وراء تمتع الرهوط بخصائص تتميز عن خصائص الرهوط الفرعية أو خصائص أعضائها ، من امتلاك الجزيئات خصائص تختلف عن خصائص الذرات والأيونات التي تتألف منها . وفي المجال الاجتماعي كما في المجال الفيزيائي لا تتماثل الخصائص البنيوية لكل دينامي مع خصائص أجزائه . اذ ينبغي ان تكون كلا المنظومتين موضوعاً للاستقصاء . ولكن أيهما اكثر اهمية ؟ ذلك أمر يتوقف على المسائل التي نضطلع بايجاد حل لها . وعلى كل حال ليس احدهما اكثر او اقل واقعية من الآخر . ويضيف ليفين قائلاً : واذا قبلنا هذا المبدأ فسوف لن نجد انفسنا امام وقائع مقنعة بغطاء متيافيزيائي ، بل على العكس أمام سلسلة من المسائل الاختبارية .

وعلى هذا النحو أتاح مفهوم الكل الدينامي (لليفين) ، طبقاً للمبادىء التي أشرنا اليها ، ابعاد حتى حدود المسألة الكلاسيكية التي تقيم حدوداً بين ماهو اجتماعي وما هو فردي وحتى بين ماهو اجتماعي وما هو فيزيائي .

ويرى ليفين ان جميع عناصر الوضعية هي بالتعريف في حال تفاعل (مادام المجتمع ، كالوضعية عبارة عن كل دينامي معرف بالتبعية المتبادلة الدينامية التي تربط بين أجزائه وتتعلق كل سمة لجزء ما من مضمون كل دينامي بوضعه وبوظيفته في الكل . ومن الممكن تعريفه عن طريق تحليل التفاعلات الدينامية المشكلة للكل بالنسبة اليه . ففرد ما ، وموقف فردي ، ورهط من الافراد ، ووضعية ما ، كل هذه الامور عبارة عن اجزاء منظومات من دينامية وعلى هذا النحو يفتح ليفين الباب لتصور للكون يحذف كل حل للاستمرار القائم بين مختلف عناصر لحظة ما من الواقع الانساني .

وعندما يدور الامر حول تسمية نمط الكل الدينامي المؤلف من ماهيات اجتماعية متعايشة مع بعضها تسمية دقيقة (كالرهوط ، والرهوط الفرعية ، والافراد ، والعوائق الاجتماعية ، والتوزيع المركزي الاجتماعي ، الخ .. يستخدم ليفين ، عن خيار ، مفهوم المجال الاجتماعي . ويقول : « ان الأداة الاساسية في تحليل الجماعية هي تصور الرهوط وحركتها واعمالها في حدود المجال الاجتماعي ، وان احدى السمات الرئيسية للمجال الاجتماعي هي شبكة الاوضاع النسبية التي تشغلها العناصر المختلفة التي يضمها فيه . وتمثل هذه الشبكة بنية الرهط (او الوضعية) واستعدادها الدينامي .

ويقوم منهج ليفين في الاستقصاء الاجتماعي ، بصورة رئيسية ، على تحليل المجال الاجتماعي كما عرفناه الآن .

(٣) — مخطط توبولوجي للشخصية في رأي ليفين

يعرض (ليفين) الافراد في معظم دراساته الوضعية كنقاط موضوعة في شكل يمثل شكل الوضعية . وبالنسبة الى الشكل العام لهذه الوضعية يتحدد دور الافراد المختلفين في كل حالة ، وهم دوماً موضع البحث ، وأهميتهم .

ويظهر الفرد (اللفيني) موضوعاً تحت المجهر كصيغة من المناطق لها بنية شبه مستقرة (او قلقة) أي كمنظومة تنزع الى ان تحافظ على هويتها في جميع الوضعيات . على ان هذه النزعة لا تمنع صيغة الشخص من ان تعدل ذاتها تبعاً للوضعيات اما فيما يتعلق بعلاقات الأنا مع اي الواقع الاجتماعي فيصفها ليفين كمنظومة من الدوائر المتمركزة (الوحيدة المركز) .

نجد في المركز نواة الشخصية . ويكتفي ليفين بتعيين هذه المنطقة ، بوجه عـــام وبدون دقة قائلا : انها اكثر العوامل مركزية في الشخصية ، واكثرها صميمية ، واكثرها التحاماً بالشخصية . ويبدو لنا ان بوسعنا ان نستنتج مما يقوله عن مفهوم المنطقة المركزية للشخصية ، ومن استعماله له ، ودون ان نتخلى عن فكرته ، تعريفاً نصوغه بألفاظ القيم فنقول : اننا نصيب النواة المركزية للشخصية عندما نمس القيم التي يوليها الفرد اكبر قيمة ، ونلاحظ ان هذه المنطقة قد أصيبت ، وان قيمة قد اهتزت ـ عن طريق ما (وضيعة او حادث ، الخ ..) ـ عندما نرى لدى الفرد المذكور ولادة هيجان عنيف جداً . ومن الممكن تعريف العناصر المقدمة لنوة الشخصية هذه عن طريق الملاحظة والتجريب .

وحول هذه النواة تقع منطقة تتشكل من عناصر يعلق عليها المرء أهمية متوسطة . واخيراً يكمل المخطط عن طريق المنطقة المحيطية حيث لاتبلغ المنبهات عناصر ذات اهمية كبيرة ، ولا تثير الا هيجانات ضعيفة جداً .

واذا اخذنا افراداً ينتمون الى رهوط مختلفة ونظرنا اليهم بوصفهم كائنات اجتماعية : أي نظرنا اليهم في علاقاتهم الاجتماعية اكثر مما ننظر اليهم في افكارهم وعواطفهم ، فاننـــا نلاحظ اختلافات جلية في بنية شخصيتهم . وان عناصر نواة شخصيتهم لاتكون واحدة عندهم جميعاً . فلدى بعضهم تكون المنطقة المحيطية وحدها من شخصيتهم « عامة » في حين تكون المنطقة الوسطي بكاملها لدى آخرين ولا شيء خاف فيها . ونستطيع ملاحظة هذه الفروق تجريبياً باستخدام مفاهيم كمفهوم « المسافة الاجتماعية » او المفاهيم التي يستخدمها السوسيومتريون في وضع لوحاتهم السوسيومترية .

وتعود هذه الاختلافات ، في نظر ليفين ، الى ان الافراد المذكورين يعيشون في منشئات اجتماعية مختلفة ، ناتجة عن سير مختلفة . والدينامية الخاصة بكل وضعية ، وبعبارة اخرى ، قدرة هذه الوضعية على بعث مواقف من نمط ومن شدة معينين ، تختلف تبعاً للبنية التوبولوجية « المجالية » للافراد الذين تستلزمهم سواء أكان ذلك بشكل انفرادي او على شكل رهوط .

ومن المهم ان نتمكن ، بصدد المواقف الـــتي نتطوع لمراقبتها ، من ان نعرف في اي منطقة من الشخصية غرست ، ومن المهم ايضاً أن نعرف ماذا كان الوصول الى هذه المنطقة سهلا ام لا . ومخططات ليفين تقدم اكبر العون في هذا الميدان.

(٤) ـ وضعية المرء في الرهط في رأي ليفين

عرض ليفين في فصل من فصول كتابه : حل ضروب الصراع الاجتماعي لمحة عن نظراته في العلاقات التي تربط الفرد بالرهط . فالفرد يتاثر آنياً بالدينامية الخاصة بمختلف الرهوط التي يكون عضواً فيها . ومحصلة ضروب الضغط المختلفة هذه تختلف حسب الوضعيات . ويشكل الرهط بالنسبة للفرد كما يقول ليفين الامور التالية :

ا ـ الميدان الذي يقف فيه الشخص . ويتعلق سلوك الفرد بحالة الميدان الذي يتحرك فيه (من متانة ، وتهافت ، الخ .) فاذا لم يكن الشخص على بينة من نسبه الاجتماعي ، أو اذا لم يكن مستقراً في رهط فسوف تتميز ساحة سلوكه بعدم الاستقرار .

ب ـ والرهط أداة ، فالفرد يستخدم الرهط والعلاقات الاجتماعية التي تفترضها الحياة في الجماعة كأدوات يستعملها في تلبية حاجاته البدنية والاجتماعية . ومن وجهة النظر هذه يبدو النظام الاجتماعي الذي يكتسبه فرد ما مثلا كأداة من هذه الادوات ، وكذلك علاقاته بأمه ، وزملائه ومواطنيه الخ .

حـ ـ والرهط واقع يؤلف الفرد جزءاً منه : فالتعديلات التي تنتاب الرهط (كالعدوان على رهط آخر ، وتقدم الرهط أو تراجعه الخ ..) تؤثر في الفرد مباشرة ، في قيمة ، وحاجاته الخ .

ء ـ والرهط أحد عناصر مجال السلوك : ففي داخل مجال السلوك (المعرف كجزء من الكون الذي يستطيع ادراكه حراً) يتفتح وجود الفرد ، والرهط قطاع من هذا المجال .

(١) ان كل تغير يطرأ على وضع الوحدة المدروسة (فرد أو رهط ، الخ ..) كارتقائه الى درجة أعلى من الهيبة واكتسابه مودة وحدة أخرى ، أو تحسن يطرأ على رفاهيته او على العكس من ذلك كل تكوص يعني ان بعض اجزاء الكون الاشياء ، والاشخاص ، وضروب النشاط ، الخ ..) قد أصبحت في متناول يده أو على العكس من ذلك قد انعدم وجودها (ان ساحة الحركة الحرة لشخص أولها عليه ان يمثل بصورة ثوبولوجية (مجالية) كمنطقة محاطة بمناطق اخرى لايمكن الوصول اليها « وعلى الجملة يقدر ليفين أن بالامكان اعتبار غطين من العوامل التي تمنع الوصول الى كـــذا أو كيت منطقة وهما :

١ ـ فقدان القدرة لدى الوحدة المدروسة (كفقدان الذكاء ، والمهارة الفنية الخ ..)

ب – المنع الاجتماعي (كالتابو التحريم ، والعوائق الاجتماعية .. الخ) .

ولا يعني تلاؤم الفرد مع الرهط الذي يكون لزاماً عليه بالضرورة أن يساوق أهدافه ، ومطامحه ، وتفكيره وعواطفه مع أهداف الجماعة وعواطفها ومطامحها وتفكيرها فبالنسبة لليفين تطرح مسألة التلاؤم الاجتماعي للفرد ، بالالفاظ التالية يحتاج المرء الى مجال من الحرية داخل الرهط كي يتابع غاياته الفردية ، ويلبي مطامحه الفردية ، ويلبي مطامحه الفردية ، ويلبي مطامحه الفردية ، فكيف يمكنه الحصول على هذه الحرية دون ان يفسد علاقاته الوظيفية مع الواقع الجماعي التي تشكل كما رأينا أساس وجوده ؟ ان المسألة تختلف في كل وضعية مجسدة . على ان البساطة في طرح مسألة العلاقات بين الرهط والفرد التي اختارها ليفين طوعاً تمتاز بابعادها عدداً لايحصى من أشباه المسائل ، ولكنها لاتضللنا فكل عنصر في صيغ ليفين ، عندما ننظر اليه عن كثب ، يتضمن سلسلة من المستلزمات المعقدة لم يتأخر ليفين عن التأمل فيها .

(٥) – خواص المجال الاجتماعي والمواقف

ان مفهوم المجال الاجتماعي ، الذي يتضمن ، بوجه خاص مفهومي الدينامية والبنية المتعلقين بالوضعية يشمل في النظريات الليفينة جزءاً كبيراً من مفهوم الموقف الجماعي (وهو استعداد للفعل في بعض الاتجاهات يتجلى لدى رهط من الافراد) ، ولكن اليست خواص المجال الاجتماعي ، كدينامية موجهة نحو وجهة معينة ، وكضروب توزيع مركزي لسلاسل أفاعيل التأثير ، الخ .. مواقف موضوعية ؟ . ان مفهوم الموقف يشتق من تصور انساني المنزع للحادث الاجتماعي ، فهو يتضمن دوماً ، ولو على شكل أثر على الاقل ، فكرة المبادرة أي الاستعداد للعمل في اتجاه ما ، الذي يلحظه الفرد ويعتبره دوماً بمثابة نية للتأثير في هذا الاتجاه تنشأ عن فعل ارادي ، وكل شيء يتغير اذا استعملنا جدياً مفاهيم ليفين في «الكل الدينامي» و « الساحة الاجتماعية » ، و «المجال الاجتماعي» ، و « دينامية الوضعية » ، وعمليات التوزيع المركزي لسلاسل أفاعيل التأثير الخ .. ويبدو الموقف الجماعي كحركة اثارتها قوى موضوعية ناجمة عن الوضعية في رهط من الافراد ، فالاقليم الاجتماعي ، والوضعية ، والبنى الراهنة ، انما هي في رأي ليفين ، حقائق موضوعية مثلها في ذلك كمثل الاقليم الطبيعي ، والوضعية الجغرافية ، وصيغة الساحة الفيزيائية المحيطة بالفرد . والعلاقات القائمة بين الحقائق الاجتماعية وبين الفرد لاتقل قسرية عن العلاقات التي يتعامل بها الافراد مع العالم الفيزيائي ولاتزيد عليها شيئاً فالطقس حار او بارد ، والبلد الذين اعيش فيه ينتج قمحاً لاذرة صفراء ، وتزن المطرقه التي احملها في يميني مائة غرام . وضمن هذه الشروط يكون بوسعي القيام ببعض الامور ، واعجز عن القيام بأخرى ، ولا استطيع الافلات من بعض الافعال الا بصعوبة كبيرة ، واستطيع اختيار بعض الافعال اورفض القيام بها بسهولة فائقة . كذلك فان الاقليم الحضاري الذي احيا في كنفه ، ودينامية الوضعية التي اجد نفسي فيها ، والبنية الراهنة للتاريخ الذي اشارك الناس فيه ، وهم الناس الذين يحيطون بي في هذه اللحظة كل ذلك يشكل حقيقة موضوعية والكل الدينامي الذي اتعلق به في هذه البرهة ، وسلوكي وهو سلوك غير آلي ابداً ، لايمكن ان يجري في الفراغ . ان الخواص الدينامية للمجال الاجتماعي (او اذا جازفنا واستعملنا تعبير « الدينامية الوضعيوية تختلف من وجوه شتى عن الانا الاعلى ، والقسر الاجتماعي الذي قال به دركهايم ، والحتمية التاريخية ، سواء بسواء ، دون ان تحل محل اي من المفاهيم او تقصيه بصورة قبلية .

ان سلوك الفرد محدد بدينامية الحوادث والقيم التي يراها في كل وضعية . وليست استطاعة القوة المستخلصة من كل حادث او قيمة موضوعية ، فهي تتعلق بحالة الذهن الذي يدركها وهذه الحالة تتعلق بنزعات الانا (وهي طريقة وحيدة ادرك بحسبها كل لحظة تبعاً لماضي الشخصي ، وحساسيتي العامة والاتجاه العرضي لانتباهي الناجم عن حالتي العصبية ، ومشاغلي المادية او المعنوية ، او المقال الذي فرغت من قراءته ، الخ .) ، وتتعلق بالأنا الاعلى (بالنحو الذي بموجبه ينبغي علي تصور الوضعية والرد عليها بفضل اوامر المجتمع) فالأنا والانا الاعلى تابعان للحضارة التي استغرق فيها : وليست الوضعية من جهة اخرى الا جملة من اجزاء من هذا الكون تكون الوحدات المعتبرة فيها (الفرد ، الرهوط ، الاوضاع ، الحوادث الخ .) في حالة تبعية متبادلة . انها لحظة من تاريخ العالم تعلل عن طريق تعاقب لانهاية له من سلاسل الافاعيل يحدد بعضها عن طريق آلية تاريخية او فيزيائية ، والاخرى منها عرضية تقود اليها .

والماضي الموضوعي اي (تسلسل الحوادث) والماضي الذاتي (وهو تصور يصطنعه المرء او الرهط عن ماضيها الخاص بهما الخ ..) عاملان هامان في تعليل وضعية ما . ولكننا لانستطيع

البقية على الصفحة « ٥٦ »

إنسان فوق جسر

قصة للكاتب الالماني هنريج بل

تعريب

جورج سالم

لقد رابوا الصدع في شأني، ومنحوني وظيفة استطيع ان امارسها وانا جالس: كان علي ان اعد الناس الذين يجتازون الجسر الجديد، ذلك بان مما يسرهم بان يثبتوا بالاحصاءات جدوى عملهم. انهم ليشملون مجموعة من الارقام الحمقاء. وهذا مايجعلني احرك فمي بصمت طوال النهار، اذ علي ان احصل بعملية جمع بطيئة للآحاد على مجموع اقدمه بكل فخر الى رؤسائي حين يأتي المساء. وان وجوههم لتضيء حينما احمل اليهم النتيجة: فكلما كان الرقم مرتفعاً ازداد فرحهم، واتيح لهم ان يناموا مطمئنين، ذلك بأن آلاف الناس يجتازون هذا الجسر كل يوم.

بيد ان الخلل ظهر في احصاءاتهم. انني آسف لذلك، ولكن هذا ماحصل. فلست من الناس الذين يمكن الاعتماد عليهم، مع حرصي على ان اعطي عن نفسي انطباعاً يدل على النزاهة.

انني اشعر احياناً بسرور خبيث يدفعني لان اهمل احد المارة، وان اضيف آخر، بعض الاحيان، حين اشعر باشفاق عليهم. ان سعادتهم منوطة بي، فاذا كنت غاضباً، لان تبغي قد نفد، فانني لا اسجل الا رقماً وسطياً، بل قد يكون اقل من الوسط، وعلى العكس، حين يخفق قلبي طرباً، فان كرم اخلاقي يتجلى باضافة عدد من خمسة ارقام، وهذا يبعث في نفوسهم فرحاً عظيماً! انهم ينزعون من يدي، كل مساء، النتيجة حرفية، فتضيء عيونهم، ثم يربتون على كتفي، وكلهم ثقة باخلاصي. وبعد ذلك يشرعون في القيام بعمليات الضرب والقسمة، واستخراج النسب المئوية، وغير ذلك مما لست اعرفه، انهم يحسبون عدد الاشخاص الذين مروا فوق الجسر هذا اليوم في الدقيقة الواحدة، وعدد الذين سيمرون فوقه في مدى عشر سنوات. ان لديهم شيئاً من التنبؤ للمستقبل البعيد، ان المستقبل البعيد يؤلف مجال عملهم، ومع ذلك فانني اقول آسفاً، ان كل هذا فاشل.

حينما تمر الفتاة الناعمة التي احبها، وهي تمر مرتين فوق الجسر كل يوم، فان قلبي، بكل بساطة، يتوقف عن الخفقان. ان خفقانه الذي لايتعب يتوقف ريثما تستدير في الممر وتختفي، فاتوقف عن تعداد كل الذين يمرون آنذاك، ان هاتين الدقيقتين ملك لي، ولن ادعها يفلتان مني، وفي المساء، عندما تعود من مخزن بائع المثلجات، الذي عرفت منذ ذلك الحين انها تعمل عنده، وحين تمر في الجهة الاخرى من الرصيف امام شفتي الصامتتين اللتين تقومان بالتعداد دون استراحة، فان قلبي حيذاك، يعود من جديد الى توقفه، ولا اعود الى عملي الا حين تختفي تماماً، وان كل المحظوظين الذين يمرون اثناء هذه الدقائق العشر، تحت نظري الاعمى، ان كل هؤلاء جميعاً لايدخلون ابداً تحت سلطان الارقام الخالدة: يالاشباح الرجال والنساء المساكين، انهم كائنات منذورون للعدم في المستقبل البعيد بالنسبة للاحصاء، ماداموا لايمرون مع الآخرين.

مما لاشك فيه انني احبها. ولكنها لاتعلم شيئاً عن محبتي، وانا أريد الا تعرف ذلك، يجب الا تعير التفاتاً للطريقة المدهشة التي تبلبل في كل الحسابات، فلتتابع، بشعرها الكستنائي الكثيف، وكعبيها الناعمين مشيتها، مشية الفراشات، بقلب صاف، ولتمض نحو بائع المثلجات، ولتحصل على كثير من هبات الزبائن، انني احبها، مما لاشك فيه ابداً انني احبها!

منذ مدة وجيزة تعرضت للتفتيش، ولكن رفيقي الذي يقيم امامي فوق الجسر، والمكلف بتعداد السيارات، نبهني في الوقت المناسب، واظهرت آنئذ حذراً جهنمياً، فعددت بسرعة عظيمة، وان عداداً آلياً لايستطيع ان يفوقني في ذلك، كان مفتش مؤسسة الاحصاء قد وقف في الطرف الآخر من الجسر، ليوازن بين رقمه ورقمي، في مدى ساعة: ولم يكن بيننا من فرق الا في تعداد شخص واحد. وفي الواقع، فان صغيرتي المفضلة مرت، ولم اكن لارضى، بأي ثمن كان، ان تترك الفتاة الجميلة هذا الحاضر في سبيل المستقبل البعيد، وان تجري عليها عمليات الضرب والقسمة، وان تخضع للعدم في حساب النسب المئوية. وان ما ادمى قلبي انني لم استطع ان اتابعها بنظراتي وانني مدين بفضل عظيم لهذا الرفيق الواقف امامي، يعد السيارات لان مورد رزقي كان في خطر.

ربت المفتش على كتفي مؤكداً انني رجل امين وممتاز ومخلص للمصلحة. ثم اضاف قائلاً: ان خطأ في تعداد شخص واحد أمر لا اهمية له. ونحن نراعي دائماً هذا الخطأ في حساب النسب المئوية. سأقترح تعينك لتعداد عربات الخيول!

البقية على الصفحة «٥٦»

روافده لحقلك الحبيب
ستضحك اليوم ازاهر العنب
ويلتقي في ساحك العرب
ليرشفوا من ثغرك الحبيب

انسان فوق جسر

بقية مانشر على الصفحة « ٥٥ »

انها وظيفة لاينالها الا المحظوظون ، وعسى ان يتحقق ذلك بسرعة ، اذ لايمر من عربات الخيول الا نحو من خمس وعشرين عربة في اليوم التالي كحد اقصى . اما ان تتوالى الارقام في ذهن المرء مرة في كل نصف ساعة ، كما تتوالى حبات في مسبحة ، فان في ذلك امناً اي امن .

ان اياماً جميلة تنتظرني . اذ يحظر على عربات الخيل ان تمر فوق الجسر مابين الساعة الرابعة والثامنة ، فاستطيع ان اقوم بنزهة وان امضي حتى اصل الى بائع المثلجات ، فأتامل الفتاة برفق ، ثم اقطع معها قسماً من الطريق ، تلك العزيزة الناعمة ، التي لم تدخل في التعداد .

في آفاق الثقافة العالمية

بقية مانشر على الصفحة «٤٨»

فهمها دون ان نراعي المستقبل الموضوعي ايضاً (اي آلية عن الحوادث) والمستقبل الذاتي (وهو تصور نصطنعه ما تستبقه الوضعية تبعاً للقيمـــة التي نوليها لعناصرها ولدلالاتها ، وتبعاً للضرورات التكنيكية والاجتماعية الراهنة) .

وقد بث ليفين في هذا الموضوع بعض الافكار العميقة استنتجنا منها ماسبق ذكره . وبمراعاة جميع العوامل التي تنتج ١ ـ الوضعية كحادث موضوعي ، ب ـ والوضعية كظاهرة مدركة ؛ بفتح الراء) يبقى علينا ان نلاحظ انه يوجد بين جميع عناصر الوضعية علاقات دينامية ، تشكل كلا تتمتع خواصه الفعاله بقدرة ، وتوجيه معينين ، وان بالامكان وصف وضع كل وحدة من وحدات الوضعية وسلوكها بالاستناد الى هذه الخواص ، المعرفة بوصفها علاقات دينامية تجري في اتجاه ما وبقوة ما (وهنا يشير ليفين الى عملية التوزيع المركزي لسلاسل افاعيل التأثير) .

ومن الممكن ان نكتشف تجريبياً خواص وضعية ما وطبيعة القوى التي تتجلى فيها وقدرتها واتجاهها . ومن الممكن اعتبار مناهجه البحث الفعال التي سنصفها فيما بعد كمجموعة من الطرائق التي انضجها ليفين وجربها في اكتشاف خواص وضعيات معينة ووضعها في مجال وعي المعنيين بالامر بغية وضعهم في حالة تمكنهم من مراقبتها .

ستلتقي في صنعاء

شعر
أحمد محمد الشجني

صنعاء يا مدينتي
يا حبي الكبير
يا نجمة مزقت الغيوم
ويا سناءً عانق العيون
اليوم تشرقين بالضياء
وتورق الاشجار والكروم
ربيعك الاخضر ساحر الرؤى
هامت بحسنه القلوب
وهتفت لفجره الشفاه
اليوم تبعثين للحياة
قد طالما حطمك الشتاء
وخيمت بصدرك الثلوج
ما كان اعظم الاسى
وانت ترسفين في القيود
وانت قصة من القديم
تحكى على مسامع الزمان
عن سيف ذي يزن وسالف الاوان
ما كان اعظم الاسى
لو ان فجرك الجديد غاب
ولم يقم عملاقك الكبير
ليأمر التاريخ ان يسير
ويزرع الحياة من جديد
فدى لك العيون يا مدينتي
لشعبي الحبيب اذ يثور
في يده انتفاضة السنين
ونجمة بيضا على الجبين
فدى لصانعي الصباح في الجنوب
الحاملين راية النضال
ما انجبت يافع من رجال
ومن يمزقون ظلمة الليال
لن تجدب الوديان والحقول
وقصة القرصان لن تطول
النيل يا مدينتي وبردى الجميل

عناقيد الفرح

قصة بقلم

جان الكسان

سخرت مني اليوم فتاة جميلة، انا الذي قتلت ذئباً كاسراً في صحراء الجزيرة وليس معي غير السكين، وكتبت ثلاثمائة قصة ناجحة، وشربت اكثر من حمولة «سيترن» من العرق!.

قالت لي ما رأيك بمدينتنا؟.

فقلت: لا تعجبني.. انها بؤرة واسعة للمرأة الخبيثة والانحلال الفظيع ونكران الجميل الذي لا ينتهي..

وضحكت بهزء: وقالت مسكين: لم تفهم المدينة بعد..

. . .

انا الآن في حانة ترتاح قرب نهر المدينة الصغير.. لم اسكر بعد.. انها الكأس الاولى.

انا احب العرق.. الشمس الدافئة، والهواء البليل، واملاح الارض النافعة.. كل هذه الاشياء يدخرها العنقود.. وتحمل الدوالي العناقيد الذهبية الصافية ياعزائي، وتأتي صبايا جميلات يقطفن العناقيد ويحملنها في سلال على رؤوسهن الصغيرة الى المعصرة. وتقطر بنت الكرم ياأصدقائي، وتعبأ في القناني، وتختم.. تصوروا مافي ختم القنينة من معنى.. انهم يخافون على السائل الكريم ان يفسد.. تماماً كما توضع النساء المخدرات في قصور شرفاتها عالية مغطاة بالستائر الوردية، وابوابها توصد في وجه الغريب.

. . .

لا ادري لماذا قالت لي اليوم تلك الفتاة الجميلة: مسكين.. لم تفهم المدينة بعد..

انا فهمت المدينة ياصديقتي الجميلة، اكثر منك.. والا كيف انها بؤرة واسعة للمرأة الخبيثة والانحلال الفظيع ونكران الجميل الذي لا ينتهي؟.

سر العنقود.. السر العميق.. عرفته.. فكيف لم افهم مدينتك ياصديقتي واسرارها كلها معروضة في الشمس لا استطيع ان اركز فكري جيداً لاناقشك.. لا.. لم اسكر بعد.. انا لا اسكر الا بعد الكأس العاشرة، وهذه التي امامي هي الاولى كما تعلمين. ذهني مشوش.. لست عاجزاً عن تمييز الاشياء، ولكن دوامة خبيثة جعلتني انداح فيها منذ ان قلت لي هذا الصباح: مسكين.. لم تفهم المدينة بعد..

انا لا اصطنع الآن عدم الاهتمام بسخريتك التي جرحتني.. كانت طعنة قاسية حتى العظم.. كأنك قلت لي: انت حيوان!

ان مصيبتي ياصديقتي.. مصيبتي العظمى انني عرفت مدينتك اكثر منك واكثر من كل اهلها الذين يدبون على الارصفة، ويحلمون في المخادع، ويتحلقون في المقاهي ودور السينما، او في حانات الشرب كهؤلاء الذين تبعثروا حولي في هذه الحانة.

انت لم تري بلدتي الصغيرة عندما يبكي الشتاء في ازقتها وحقولها، وعندما يتسلق الربيع جدران المنازل وسطوحها، وعندما يرش القمر نوره البارد على حلقات السمر التي تعقد في ارجائها.. هناك الاسرار اكثر عمقاً ياصديقتي. هناك نرقص من الفرح عندما يبكي الشتاء فلا تعبس وجوهنا - كما يعبس وجهك الجميل - اذا ابتل معطفك بقطر السماء.. والاوراد هناك طبيعية، صنعتها يد فنان قدرته اعظم من كل قدرة.. والربيع، لا نحبسه - كما تفعلين - في الاصص والاحواض، بل نتركه طليقاً يتسلق الجدر والاسطحة فتسبح خضرته باريها في كل سهل وكل حزن.

لازالت افكاري مشتتة.. لا.. لم اسكر بعد.. قلت لك انني لا اسكر الا بعد الكأس العاشرة، وهذه هي الكأس الثانية كما تعلمين

. . .

انها رحلة ممتعة ياصديقتي. صدقيني. انا دائماً احرة باخلاص.. ابكي اذا لم يهتم احد باخلاصي.. قتلت ذئباً مكي لانه شك باخلاصي.. مادرى المجنون انني وكيل المصلحة، وان علي ان احرس الاغنام واخلص في حراستي.. هجم على الزريبة. كان جائعاً.. وكنت لا املك غير السكين وشعرت ان هجومه اهانة لي.. لاخلاصي. كأنه قال لي بهجومه: مسكين.. انت تفهم شريعة الذئاب.. تماماً كما قلت لي انت اليوم: مسكين. لم تفهم المدينة بعد..

وكان بيننا صراع.. والذئب كاسر ياصديقتي.. وكنت كاسراً مثله.. عضني، ولكني طعنته، فسقط.. لم اصنع بطولة. اخي كان بطلاً ولست انا. استشهد منذ سنوات ولكن رفاقه قالوا انه قتل اكثر من مائة يهودي. كان يحارب في فلسطين.

آه. الم اقل لك ان افكاري مشتتة. قلت لك: انها رحلة ممتعة. ثم اخذني الكلام.

الرحلة، الى بلدتي الصغيرة ياصديقة. رحلة صيفية الى الريف. انها ممتعة ولكنها لا تستهوي واحدة مثلك من صبايا هذه المدينة اللواتي تخالط احاديثهن رطانة اجنبية تخجل.

العناقيد. عناقيد العنب كلها سترحب بك. دروب كرومنا جميلة، موحية، ترابها محفوف بحشائش تحكي اساطير ربيعية غرقى بالحنان.

العنب عندنا كأنه العنب الرازقي الذي قال عنه ابن الرومي انه مخطف الخصور. تعرفين انت ابن الرومي. لا شك في هذا فأنت مثقفة.

البقية على الصفحة «٦١»

وسيتراكض امـامك الاطفال ، وينظرون اليك بفرح يخالطه شيء من الرهبة . لاتسخري منهم . ان ثيابهم متسخة وعيونهم عمشاء لاتقوى على مواجهة الشمس ، ولكنهم انقياء كاللبن الحليب ، كصفاء السماء في حزيران . هل رأيت انت هذا الصفاء في حزيران . هل فرقت يوماً في مدينتك بين صفائها في شهرين مختلفين

وتجلسين ياصـــديقتي . على بساط حكناه بأيدينا تحت الدالية الغربية

انا كريم جداً ياصديقتي لانني ادعوك للجلوس تحت الدالية الغربية .. هذه الدالية لها قصة .. لايهمك ان تسمعيها الآن انها قصة الاخلاص المعهود الذي من اجله قتلت الذئب والذي من اجله احكي لك ما احكي بصراحة ..

وتمضي ساعة .. ساعتان .. وانت تحاولين عبثاً الوصول الى احد اسرار الطبيعة .. ستجدين ان الانسان يستطيع ان يعرف مكان المفاتيح التي تدير اضخم آلة في مدينتك الواسعة ولكنه لايستطيع ان يدرك بسهولة سر السنبلة التي تنمو في في الحقل لتعطينا الرغيف .

لازلت اشعر بتشتت في أفكاري ، وبدوار بسيط .. انها الكأس السادسة ، وانا لااسكر الا بعد العاشرة ، انني اشرب كأحسن مدمن من اهل المدينة ، ألم اقل انني شربت حمولة « سيترن » من العرق ؟.

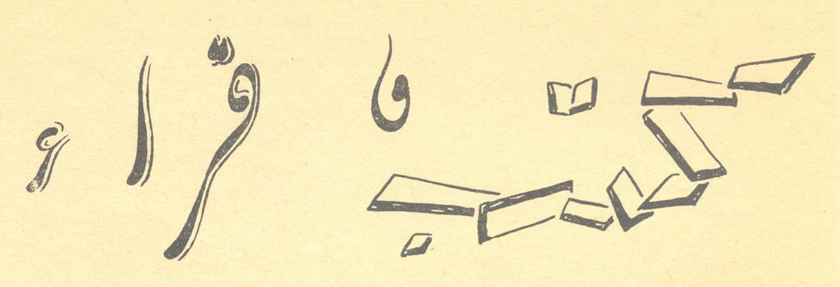
لست انا الذي اكتشف هذا ، بل مدحة ، صديقي الشاعر انه بدوره يأخذ علي عدم حبي للمدينه ويحاول تلوين الالفاظ التي يتغزل فيها بالمدينة فلا يستطيع ان يقول عن أناسها الذين يدبون على الارصفة سوى انهم كالجبال الصاخبة ..

قال لي : لماذا تشرب العرق ؟.

نفس السؤال الذي اكرهه .. واعيد نفس الجواب :

« انا احب العرق ، الشمس الدافئة والهواء البليل واملاح الارض النافعة ، كل هذه الاشياء يدخرها العنقود .. وتحمل الدوالي العناقيد الذهبية الصافية ياعزيزتي ، وتأتي صبايا جميلات يقطفن العناقيد ويحملنها في سلال على رؤوسهن الصغيرة الى المعصرة ، وتقطر بنت الكرم ياصديقي ، وتعبأ في القناني ، وتختم ، هل ادركت مافي ختم القنينة من معنى .. انهم يخافون على السائل الكريم ان يفسد .. تماما كما توضع النساء المخدرات في قصور شرفاتها عالية وابوابها موصدة في وجه الغريب ..

البقية على الصفحة « ٦٢ »



ازمة بريطانيا والامبراطورية البريطانية

تقديم وتلخيص : نهاد الغادري

« دات » كاتب ومفكر انكليزي ، عالج واقع انكلترا بجرأة . فقد اصدر كتابه عن « ازمة بريطانيا والامبراطورية البريطانية » متحرراً من نفسية المستعمر وعقله . وقد لقي هذا الكتاب من الاهتمام داخل بريطانيا وخارجها ما جعله يترجم الى اثنتي عشرة لغة ، ويعاد طبعه مرات .

وقد دافع « دات » في كتابه عن شعوب المستعمرات البريطانيـة ، وطالب بتحريرها ، ورد اسباب الازمة الى النظام الاستعماري نفسه ، وقال ان حلها مرتبط بالقضاء على هذا النظام واعادة بناء انكلترا على انقاضه من جديد .

يبدأ « دات » الحديث عن ازمة بريطانيا واوروبا الغربية بعد الحرب العالمية الثانية . فقد بلغ خطر الازمة حداً اضطرت انكلترا معه ان تعترف بخطورتها . واخذت تتداعى دعائم النظم والعلاقات الاستعمارية ، والاستغلال الدولي ، مما زاد في عمق الازمة ، وزعزع اساس انكلترا وهيكل نظامها العام . ولكن الطبقة الحاكمة بدلا من ان ترى الازمة في النظام الاستعماري وتعمل على تصفيته ، لتلافيها ، اتجهت الى التوسع في الاستعمار ، واستخدام اساليبه الحديثة لتنمية موارد الامبراطورية كحل لمشاكل بريطانيا الاقتصادية . غير ان هذا الاتجاه اصطدم بزحف القوات الشعبية الثائرة في جميع بلدان المستعمرات وكان حتما ان يقضي عليه بفعل التناقضات الكامنـة في النظام الاستعماري ، وبفعل ضعف قوى الاستعمار . واتضح حينذلك ان انكلترا واوروبا الغربية في خطر من ان تتردى في هاوية سحيقة من الازمـة المستعصية والافلاس ، اذا لم تجر تغييرات حاسمة في كيانهـا الاجتماعي … اذا لم تحدث تعديـلا اساسياً في نظم بلادها ، تحطم به اسس الاستعمار الطفيلية ، وهذا لايتم الا اذا قضت على قوة الاحتكارات التي ترتبط اوثق الارتباط بالاستعمار .

ان الامبراطورية البريطانية اليوم في مرحلة الانهيار ، ولكنها لم تنته بعد . وهي تبذل جهد اليائس لكي تبقى ، وتستمر في تحقيق مقاصـدها القديمة ، بتسخير الشعوب واستغلالها ، وجني الارباح .

ولكي نفهم الاستعمار ومشكلة المستعمرات ، يجب ان نتجاوز الكلمات الخادعة الى الحقائق المادية .. الى الاحتكارات واتحاداتها .. الى اصحاب المزارع في المستعمرات .. الى قوانين السخرة والعقوبات فيها .. الى الارباح الخيالية .. الى معسكرات الاعتقال . الى الارهاب والقتل .. فهناك تكافح الشعوب ، الظروف غير الانسانية التي اوجدها لها الاستعمار . وبكفاح هذه الشعوب اصبح يرتبط كفاح الشعب الانكليزي نفسه من اجـل الديمقراطية والاشتراكيه .

ثم يشرح « دات » في كتابه بعـد ذلك ، تاريخ النظام الاستعماري الانكليزي ، فيقول ، ان هذا التاريخ هو اقدم من نظامها الرأسمالي . فايرلندة رسم لها نظام الاستعمار من قبل ان تجيء الرأسمالية ، غير ان النظام الاستعماري البريطاني ،ساير تطور الرأسمالية بعد ذلك في كل مراحلها وهي ثلاث : مرحلة رأس المال التجاري ومرحلة رأس المال الصناعي ، ومرحلة رأس المال المصرفي .

وقد بدأ رأس المال التجاري المرحلة الاولى من التوسع الاستعماري وراء البحار ، وهي فترة تسمى في تاريخ انكلترا فترة المغامرات التجارية .. او القرصنة التجارية كما يجب ان تسمى . وقد هيأ هذا النظام الاستعماري القديم الدعائم الرئيسية لتراكم رأس المال في صورته الاولية التي مهدت بعد ذلك للثورة الصناعية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، واوائل القرن التاسع عشر ، على اساس استغلال المستعمرات ، وخاصة الهند .

ومضت انكلترا بعد ذلك تستوحي مطامعها في علاقاتها بالشعوب . وظلت الاساطيل والمدافع تفتح طريقها الى اسواق العالم . ثم مالبثت انكلترا ان انتقلت الى المرحلة الثالثة بعد الكساد العظيم ، اواخر القرن التاسع عشر ، بسبب المنافسة . فأخذت تصدر رأس المال ، وتغتصب مستعمرات جديدة ، معبدة الطريق امام استعمار القرن العشرين . ولقد بلغ مااغتصبته في بداية الحرب الثانية ربع مساحة الارض وسكانها .

وقد ادت سياسة تصدير رأس المال وتثميره وتراكمه خارج انكلترا من اجل الظفر بارباح فاحشة الى استمراء حياة التطفل المتوقفة على استمرار هذه السياسة .. والى اهمال الصناعة المحلية والزراعة ، وبالتالي تدهورهما . ذلك ان ارباح استغلال العمل الرخيص في المستعمرات ارباح مغرية . وقد كان لنمو التطفل ، اثاره الضارة كذلك نمو الحركة العمالية ، وتحويل ثوريتها الى ما هي عليه الان من تأخر واضطراب وتفسخ . وانعكس تطور الحركة العماليه الى خدمة مصالـح الاستعمار ، وارتباط العمال بالسياسة الاستعمارية . ونحن اذا استعرضنا اليوم الحساب الختامي لهـذه السياسة وجدناها قد اصابت جماهير الشعوب بكوارث ومصائب لا حـد لها ، ولا وصف لبشاعتها ، دفعتها الى الثورة . ووجـدنا ان هذا النظام الذي يستند اليه الهيكل السياسي والاجتماعي العام لديموقراطيـة الاستعماريين المزعومة. يدخل الان مرحلة دقيقة ، تتعمق فيها جذور الازمة ويقترب معها الاستعمار من الانهيار .. نهايته المحتومة .

غير ان هذه الازمة ، لم تبدل الموقف في بلاد المستعمرات فقط ، بل بدلت ايضا احوال البلاد الاستعمارية نفسها . فقد احس حكام الغرب امام النذير الواضح الذي تدوى به ثورة المستعمرات وموجة التحرير الصاعدة الزاحفة نحو النصر في اسيا ، المحركة لبواعث الاضطراب في افريقيا ، ان حكم الادانة قد اعلنته هذه الدقات الجنائزية ، وان نظام الاستعمار ، المستمد حياته من التطفل الاقتصادي ، والفساد السياسي ، المعروف خطأ باسم الديموقراطية الغربية ، قد آذنت شمسه بالمغيب .

ولقد افضت الحرب العالمية الثانية الى تغيير شامل عميق . فقد اضمحلت منطقة الاستعمار ، وتحطمت امبراطوريات ايطاليا واليابان وتحرر جزء من اوربا ، وانتهت المانيا . وفي المناطق الاخرى التي ما زال يسيطر الاستعمار عليها تغير ميزان العلاقات تغيرا جوهريا ، واخذت الازمة المزمنة تبرز في اوربا بشكل احد واعمق .. واخفقت الجهود المبذولة في التخلص منها وكان مظهرها في انكلترا العجز الثقيل في ميزان المدفوعات . ولئن اتيح لمشروع مارشال ان يواجه بشكل موقت على حساب التبعية الاقتصادية مظهر الازمة الخارجي ، فانه لم يستطع ان يمس عوامل الازمة الحقيقية الكامنة في النظام الاستعماري ، الذي انهارت قاعدة اقتصاده الطفيلي بسبب التغيرات العميقة ، وانتصار كثير من حركات التحرر الوطني .

غير ان هذه التغيرات ، وحركات التحرير ، قد جاءت معها ، الى جانب ما احدثته في النظام الاستعماري من ضعف ، باشكال جديدة متطورة للاستعمار عرفت بالاستقلال الاسمي . وقد عبر عنه « نهرو » بصدق حين قال : اذا تولت زمام الامور في بلد ما حكومة وطنية محل حكومة اجنبية وابقت جميع الاستثمارات الاجنبية سليمة على حالها ، فهي لم تفعل شيئاً .. ولم تحصل على ظل من الحرية .

ولقد كانت مصر عام ١٩٢٢ مثلا لهذا الشكل الجديد ، وكذلك العراق بالنسبة لانكلترا والفلبين بالنسبة لامريكا .

وبقى وراء الاستقلال الاسمي . مضمون النظام الاستعماري قائما ، متمثلا في الاستغلال الاقتصادي للموارد الطبيعية والقوى البشرية ، وفي السيطرة الاستراتيجية وامتصاص البلاد داخل الكتلة الاستعمارية في النطاق العالمي ، وفي الاحتفاظ بنظام سياسي متفسخ في هذه البلاد يحقق هذه الاغراض

ولقد ادى ضعف الاستعمار الانكليزي بشكل عام وتراجعه في كثير من المناطق ، الى اتجاه لدى الاستعماريين الانكليز نحو افريقيا ، في حلم مجنون للسيطرة على هذه القارة واستنزاف خيراتها . وقد عبر عن هذا الاتجاه كل من وزير خارجية حكومة العمال عام ١٩٤٨ ، ورئيس مجلس التجارة ووزير الدولة هيكتور ما كنيل الذي قال : انني مقتنع بأن السبيل الوحيد لاصلاح احوال التجارة ، واعطاء الفرصة الحقيقية لاوربا الغربية وانكلترا خاصة ، لتحسين احوالها ، هو في استثمار افريقيا ، وايدت امريكا هذا الاتجاه لانه يغني اوروبا الغربية عن موارد اوروبا الشرقية ويعمق الانقسام الاوربي بشكل عام ، وينهض النصف الاوربي العاجز على حساب افريقيا .

ولكن ، هنا يبدو ان ثمة سؤالا لابد من طرحه ، وهو : ما الثمن الذي دفعته انكلترا مقابل مشروعات الحرب الاستعمارية التي تفرضها عليها هذه السياسة الاستعمارية ؟.

ان التبعات العسكرية التى تلقيها مثل هذة السياسة ، من الضخامة بحيث تنوء بحملها بريطانيا . فهي تملك قواعد عسكرية في كل من عدن وجبل طارق وطرابلس وشرقي الاردن ، وجامايكا والملايو ومالطة وسنغافورة والصومال وهندوراس وقبرص وبرقة وشرقي افريقيا . وهي تملك قواعد جوية في كل من جبل طارق وقبرص وسيلان والعراق والمحميات العربية ومالطة وشرق افريقيا وسنغافورة والصومال وروديسيا الجنوبية وهونغ كونغ وشمالي افريقيا وباكستان وعدن والملايو وغيرها ، وكل هذه تبعات ضخمة القتها على كاهل بريطانيا سياستها الاستعمارية . هذا عدا تبعات الحملات العسكرية التي تسوقها اليها هـذه السياسة لقمع الحركات الوطنية ومقاومة احرار المستعمرات .

ويتفق في هذه السياسة الاستعمارية كل من حزبي العمال والمحافظين ، فحزب المحافظين يرى بقاء الامبراطورية متفقاً ومصالح الاحتكارات التي يمثلها وشرطاً لبقائها ، وحزب العمال يرى بقاء الامبراطورية مرتبطاً بمستوى حياة العامل البريطاني وبدون هذه الامبراطورية ينخفض مستواه ، فبقاؤها شرط لبقائه .. ولا يختلف من هؤلاء الا الذين يربطون مصلحة شعوب المستعمرات في التمرد بمصلحة الشعب الانكليزي نفسه ويرون في تحررها مساهمة في تحرر انكلترا نفسها ، ذلك ان الشعب الذي يستعبد شعباً آخر انما يصنع لنفسه الاغلال .

غير ان هذا الوضع الشاذ للامبراطورية العجوزه آن اوان مجابهته . يجب ان نعترف بالازمة ونستخلص عبرها ، ونرسم الخطوط العملية ازاءها ان نظام الخراج الذي يجبي للامبراطورية من مستعمراتها لتوازن حساباتها ولم يعد ممكن الاستمرار امام زحف حركات التحرر للشعوب المستعمرة . لقد افلس النظام الاستعماري نهائياً ووضع الشعب البريطاني امام احد امرين : اما ان يثور على هـذا النظام ويقوضه ليبني حياته من جديد ، معتمداً على نفسه .. واما ان يتضور جوعاً ويتسكع على ابواب امريكا .

ان الازمة التي اطلت على انكلترا بوادرها بعد الحرب العالمية الثانية مستمرة ولا تنفع فيها الحقن ، ولا القروض والمساعدات الامريكية . ولا الف مشروع كمشروع مارشال .

ان ازمة ميزان المدفوعات لايحلها قرض .

ان ازمة انكلترا يحلها شيء واحد هو :

ان تعود قواتها العسكرية الي وطنها .

ان تستخدم مواردها من اجل اعادة بناء حياتها .

ان تقطع اليوم والى الابد كل ما يربطها بالنظام الاستعماري الاجرامي المنهار .. وان تقيم على انقاضه بريطانيا جديدة تساهم بدورها مع شعوب العالم الحرة كشريك حر وعلى قدم المساواة .

النشاط الثقافي في الوطن العربي

الرابطة الادبية في الكويت

منذ بداية النهضة الحديثة والوعي يتزايد في الوطن العربي ولقد كانت فترات بداية الوعي – في كل جزء – متفاوتة ولكنها ظلت متتالية .

والكويت اليوم في فترة تفتح وعيه يلحق بالركب جادا وانه يرى ضرورة التعبير عن ذاته ويلمس أهمية اسهامه في تأدية رسالة الامة العربية وتحقيق اهدافها .

وتمشياً مع هذا الاتجاه تم تكوين رابطة ادبية من الادباء ومحبي الادب في هذا الجزء من الوطن العربي ووضع دستور مؤقت اهدافه : رعاية النهضة الادبية بالكويت والاتجاه بالادب العربي اتجاها قوميا يخدم الفكرة العربية التحررية في سائر ارجاء الوطن والحث على الانتاج الادبي والثقافي وتشجيع المبدعين والعمل على حماية حرية الفكر والمحافظة على حقوق الادباء والمؤلفين .

وقد دعا الاعضاء المؤسسون الذين اتخذوا صفة لجنة تحضيرية الى اجتماع يوم السبت ١٩٥٨/٥/٦ حضره اعضاء الهيئة العامة التي تم تكوينها عن طريق الترشيح من الاعضاء المؤسسين . وفي الاجتماع ووفق على مواد الدستور ، وانتخبت الهيئة الادارية للرابطة بطريقة الاقتراع السري ، وتألفت من سبعة اعضاء هم السادة : عبد العزيز حسين عبد الله احمد حسين ، احمد العدواني عبد الرزاق البصير ، فاضل خلف ، احمد ابوبكر ، علي عقيل .

وانتخبت الهيئة الادارية من بين اعضائها السادة :

عبد العزيز حسين	اميناً عاما للرابطة
عبدالله احمد حسين	امينا للسر
فاضل خلف	امينا للصندوق

وانه لمما يدعو للتشجيع ان يعقد مؤتمر الادباء العرب القادم في الكويت مما يهيء فرصة ثمينة للرابطة ويمكن الشباب المحب للأدب ان يلتقي بجهابذة الادب العربي في هذه المدينة العربية التي طالما تاقت الى مثل هذه المؤتمرات .

والهيئة الادارية تتوجه بالنداء الى الادباء في جميع ارجاء الوطن لمساندة الرابطة بتوثيق الصلات بها وتبادل العلاقات معها وذلك لكي يتهيأ لها اداء مهمتها في خدمة الامة العربية عن طريق ادبها وثقافتها .

مؤتمر الكتاب الاسيويين والافريقيين في طشقند

● في الثاني والثالث والرابع من حزيران عقد اجتماع تمهيدي في موسكو للتحضير لمؤتمر الكتاب الآسيويين والافريقيين الذي سيعقد في مدينة طشقند في اكتوبر (تشرين الأول) القادم . وقد مثل الجمهورية العربية المتحدة في هذا الاجتماع يوسف السباعي السكرتير العام للمجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب ، والاستاذ مرسي سعد الدين . وتمثلت في هذا الاجتماع التمهيدي الهند والصين الشعبية واليابان علاوة على الوفد السوفييتي المضيف الذي رأسه شرف رشيدوف واليكسي سركوف .

وقد اذاع المجتمعون رسالة الى كتاب آسيا وأفريقيا يدعونهم فيها الى تأليف لجان موضعية للتحضير ، وتعيين ممثليهم وحصة النفقات التي يحبون ان يشاركوا بها كما بينت الرسالة دور الكتاب الهام في نشر روح السلام ، والتعايش السلمي ، وفضح تجار الحروب امام عيون الشعوب . ودعت الرسالة أخيراً كتاب اميركا واستراليا واوروبا للحضور كمراقبين لأن اللجنة لا تريد ان يقف كتاب آسيا وافريقيا في صف وكتاب العالم الذي جرت العادة ان يسمى بالغربي في صف آخر .

ان الكتاب العرب مدعوون للاستجابة لهذا النداء ، وتمثيل الادب العربي في ماضيه وحاضره خير تمثيل في هذا الاجتماع التاريخي .

● صدر ديوان شعر جديد لعبد الرحمن الخميسي .

● أقامت الجمعية السورية للفنون معرضاً في مقرها للفن المراكشي الحديث اشترك فيه فنانان : فريد بلكاهية وكريم بناني وكلاهما طالب في مدرسة الفنون الجميلة في باريس . وهما

من المدرسة الواقعية ، يصفان المناظر الشعبية ذات اللون المحلي المراكشي .

● أقامت جمعية تعزيز التبادل الثقافي بين الاقليم السوري والاتحاد السوفييتي معرضاً لصور زيارة الرئيس عبـــد الناصر للاتحاد السوفييتي بدعوة من رئيس مجلس السوفييت الاعلى المارشال فورشيلوف .

● أقامت مديرية دار الآثار بدمشق معرضاً للفلم البلغاري وألقى قنصل بلغاريا العام بالوكالة جورجي كاموف كلمة شكر اجابه عليها مدير الآثار الدكتور سليم عبد الحق .

● عقدت جلسة شعرية جميلة في منتدى سكينة بدمشق انشد فيها الشعراء والشاعرات : نبيهة حداد ، محمد المصري طلعت الرفاعي ، مدة عكاش ، عزيزة هارون ، محمد الحريري رشيد ياسين ، احمد سليمان الاحمد .

القى ناظم طحان رئيس الجمعية العربية للدراسات النفسية والتربوية والاجتماعية في مقر رابطة الكتاب العرب بدمشق محاضرة عن « المعتقدات والمواقف الفردية ومناهج قياسها » . تناول فيها اهمية قياس المواقف والمعتقدات الفردية في التنظيم الاجتماعي في الدولة الحديثة ثم شرح القواعد النظرية للقياس والاسس التي تقوم عليها مناهج هذه الدراسة وطرق تكوين المقاييس ثم عرض أخيراً منهج لورستن في قياس هذه الظواهر النفسية الاجتماعيه . وقد قدم المحاضر انطون حمصي نائب رئيس الجمعية .

● صدرت حديثاً باللغة البلغارية رواية « الارض » لعبد الرحمن الشرقاوي .

● ألقى احمد سليمان الاحمد محاضرة في مقر رابطة الكتاب العرب بدمشق عن « الشعر البلغاري الحديث » وتحدث عن ظاهرة وجود شاعرات كثيرات مجيدات في بلغاريا ، ومنهن من تعد في الطليعة بين جميع الشعراء المعاصرين مثل الزابيت باغريانا التي قال عنها الشاعر التركي العالمي ناظم حكمت : انها شاعرة العصر ! ومثل الشاعرتين الشابتين بلاغاديميتروفا ونيفينا ستيفانوفا . كما نوه بظاهرة اخرى هي كثرة الشعراء الشهداء في البلد البلغاري ، هؤلاء الشعراء الذين وقفوا شعرهم وحياتهم على الشعب ونضاله .

● ألف لفيف من شباب دمشق جمعية اطلقوا عليها اسم « ندوة الفنون والآداب » وتضم الندوة فئة واعيه من العاملين الشباب في الحقل الفني والادبي فنأمل لها كل تقدم وازدهار .

● سيصدر قريباً كتاب « نظرة في اعماق الانسان » على ضوء تفكير جديد في الطب . للدكتور العليم محمد صبحي أبو غنيمة . ويعد طبع الكتاب في مطابع الاديب لصاحبها وديع صيداوي .

● صدر عن الاقليم المصري كتاب « المسرح في يوغوسلافيا » وهو مجموعـــة دراسات لتاريخ فن المسرح في يوغوسلافيا كما صدرت مجموعة « من القصص اليوغوسلافي » تدور حول المقاومة الشعبيه أثناء الاحتلال النازي .

● يعقد بين الثاني والثامن من تموز المقبل مؤتمر المترجمين العالمي في فرصوفيا عاصمة بولونيا . فاليه نوجه أنظار ادبائنا المشتغلين في الترجمة .

● ألقى الدكتور كامل عياد محاضرة قيمة في مقر جمعية تعزيز التبادل الثقافي مع الصين الشعبية حول العلاقات العربية الصينية عبر التاريخ .

عناقيد الفرح

بقية ما نشر على صفحة « ٥٨ »

ومدينتك اوصدت ابوابها في وجهي ياصديقتي ، اخلصت لها ولكنها اوصدت ابوابها ، لم تفهم اخلاصي كالذئب الذي قتلت ، كموقفك وانت تسخرين مني اليوم وتقولين : مسكين لم تفهم المدينة بعد ..

عناقيد الغضب فقط لم افهم سرها ، لم تبح لي بشيء ياصديقة رأيتها في مدينتك معلقة ببلاهة في دكان يقوم في زاوية ، سوقها مقطوعة ، وحباتها ميتة ، وفي كل حبة رأيت الف عين غاضبة تحدق في المارة بحنق ، كأنها جماعات من الطيور الملونة شدت من ارجلها بحبل غليظ وعلقت في قفص كبير ..

انها الكأس التاسعة .. ولساني يكاد يفقد توازن الكلمة التي يرسل .. انت مسكينة ياصديقتي لانك لا تفهمين غير لغة الناس الذين يشنقون العناقيد في واجهات الدكاكين .. ولانك لا تريدين ان تقومي بالرحلة الصيفية الى بلدتي التي لا تستهوي واحدة مثلك من صبايا المدينة اللواتي تخالط احاديثهن رطانة اجنبية تخجل ..

انت مسكينة ياصديقتي لانك خدرت باحاديث الموت ترويها العناقيد الغضبى المشنوقة في الدكاكين ، فجهلت حديث الحياة ترويه عناقيد الفرح في كرومنا ..

انهى حديثي ياصديقتي ، فقد جاء الساقي بالكأس العاشرة .

النشاط الثقافي في الغرب

ابن بار للشعب البلغاري

يحتفل الشعب البلغاري في ٢ حزيران بالذكرى الثانية والثمانين لاستشهاد ابنه الخالد والشاعر الملهم والثائر الكبير كريستو بوتيف .

وكان كريستو بوتيف خلال حياته القصيرة (٢٧ سنة) الحافلة بالبطولة اصدق ممثل لنضال شعبه من اجل التحرر الوطني ولتصميم الجماهير الشعبية على تصفية الطغيان البربري الذي فرضته تركيا الاقطاعية ، ووصلت الفكرة التقدمية في بلغاريا قبل التحرر الى اعلى مستواها في شخص كريستو بوتيف .

وكان بوتيف من دعاة الثورة الشعبية المتحمسين وكان يحسبها نصباً تذكارياً لكل شعب نحو المستقبل . وكوسيلة لتأمين حرية الانسان المطلقة .

وكان يؤمن بالاممية ورفع علم التعاون والصداقة بين الشعوب عاليا وهو يربط بين نضال بلاده التحرري ونضال جميع الشعوب المستعبدة والمستثمرة في جميع انحاء العالم . ويسعى لاقامة تعاون - متين بين هذه الشعوب وكتب يقول « ان التعاون الوثيق بيننا وبين الشعوب هو الذي يستطيع ان يصفي عذاب الجنس البشري وبؤسه وان يقضي على المتطفلين ، هذا التعاون وحده يستطيع ان يحل الحرية الحقيقية والمساواة والصداقة في جميع انحاء الكرة الارضية .

ويهاجم كريستو بوتيف بنفس القوة الدول الأوروبية التي تدافع عن العبودية التي فرضتها الامبراطورية التركية .

وعن طريق نشاطه كداعية رسم بوتيف بقوة خارقة ، صورة العبودية وهاجم اعداء الشعب البلغاري وكل الذين يعرقلون نضاله في سبيل التحرر .

وفي اغانيه الحماسية يمجد بشاعرية منقطعة النظير وبقوة خارقة النضال من اجل الحرية ويدعو الى حب الوطن ويذكر الكراهية ضد المحتلين ولم يكتب بوتيف الا عشرين قصيدة ولكن ذلك لا يمنعه من ان يكون اكبر واشعر شاعر بلغاري وليس الشعر والادب والعلم بالنسبة الى بوتيف الا ادوات قوية في معركة ضد الاستعباد وهو يطلب ... ان يأخذ العلم والادب والشعر والصحافة وباختصار كل نشاط فكري طابع الدعاية السياسية وان يحسبوا حساب الحياة واحتياجات الشعب وامانيه ..

ويشعر كريستو بوتيف باحترام وتقدير عظيمين نحو شعبه وهو يؤمن بمستقبل نير لهذا الشعب وذلك عندما سيكون له بالاشتراك مع الشعوب السلافية الاخرى كلمة يقولها في تقدم الانسانية وحصة في ميراث الانسانية المشتركة .

ان جمال شخصية بوتيف يعود الى الوحدة التامة بين كلامه وافعاله ، بين شعره واعماله الثورية هذه الوحدة التي تستوجب باستشهاده من اجل الحرية - هكذا تحققت امنيته الاخيرة : اريد ان اجد منيتي بين صفوف المجاهدين .

ان وطنيته الصادقة وحبه العميق لشعبه وايمانه بانتصار النظام الاجتماعي العادل - وحياته كلها المليئة بالتضحية والجهاد ونكران الذات ستبقى دائما مثال الخدمات الامينة للوطن والشعب ولهذه الاسباب اثرت اراؤه وكتاباته هذا التأثير الكبير على الحياة الاجتماعية في بلغاريا بعد التحرر . ان الشعب البلغاري كان يشعر ان كتابات بوتيف قريبة جدا من قلبه لذلك تبنى الشعب آراء بوتيف واتبع اثره وفي عهد الرجعية والفاشية كان اسم بوتيف راية يرفعها الشعب البلغاري .

واليوم تحققت كل الاهداف التي ناضل ومات من اجلها على غرار بوتيف ، ابر ابناء الشعب البلغاري .

واليوم انتصرت كتابات بوتيف واصبحت صورته خالدة في قلب الشعب البلغاري ان عظمة بوتيف لن تزول ولن يشمل النسيان اسمه لان الذي يقع في معركة الحرية لا يموت ولن يموت ..

● تنشر دار « بيير سيغرس » في باريس خلال ايام قليلة مجموعة شعرية كتبها ماوتسي تونغ زعيم الصين الشعبية وقد ترجم المجموعة المؤلفة من ثمانية عشرة قصيدة الكاتبان ستيفان شو وروبرت ديسموند . وقد صدر الديوان برسالة كتبها ماوتسي تونغ نفسه ، الى صديقه كوجيا ، جاء فيها :

لم ارغب مطلقاً بان تطبع هذه القصائد لكون اسلوبها قديماً . واني اخشى ان ازرع بذلك بذرة رديئة ربما اثرت بطريقة غير صحيحة على شبيبتنا. وعلاوة على ذلك فان في انتاجي قليلاً جداً من الالهام الشعري ، اذ كل مافيه عادي جداً . ومع ذلك فاذا كنت تعتقد ان هذه القصائد جديرة بأن تنشر وأنها تساعد على تصحيح بعض الاخطاء بين هؤلاء الذين تدور الآن بينهم ، فاني اترك لك مطلق الحرية في ان تصنع مايروق لك .

من الطبيعي ان الاسلوب الجديد يجب ان يكون الخط الذي على الكتاب ان يسلكوه ان بالامكان استعمال الاسلوب القديم من وقت لآخر ولكن يجب ان لا يكون مثالاً لشبيبتنا لانه يشل الفكر ، وهو صعب جداً على الترويض .

واني اقدم اليك جميع هـــذه الملاحظات كمجرد آراء بسيطة فحسب . »

ويسر الثقافة ان تكون السباقة في نقل قصيدتيه من هذا الديوان لاول مرة الى اللغة العربية :

مدينة هوي شانغ

في الشرق
ينفجر السحر
لا تقل انك تمضي باكراً .
لقد سرت على جميع الهضاب الخضراء
واكتسبت جميع التجارب
ومازلت فتياً .

المنظر هنا جميل بصورة خاصة .
وحول هوي شانغ
تصعد الذرى الساحقة وتهبط
في الشرق حتى افق السماء .
ويتطلع المقاتلون نحو الجنوب ،
صوب مقاطعة كوانتونغ
اغنى
واكثر خضرة .

جبل شنغ كانغ

في سفح الجبل
أعلام عسكرية
والطبول والابواق
تتجاوب في القمة .
– والاعداء يحيطون بنا ، طبقات كثيفة –
مرة جديدة
ولكننا نصمد في امكنتنا
ومنذ زمن طويل وتحصيناتنا على استعداد
وفوق ذلك فارادة شعبنا
اقوى من جدار قلعة .
وحول هوان ينانغ يرعد المدفع ،
وفي المساء يصل النبأ :
العدو يبتعد بهدوء في الليل .

● اجتمع في باريس من الثاني الى الخامس من أيار ، كاريكاتوريون وكتاب ريبورتاجات وانتقادات لاذعة ، من مختلف البـــلدان ، وقرروا انشاء جمعية عالمية مهمتها تسهيل ومضاعفة التقاءاتهم لاجل الدفاع المشترك عن مثلهم الاعلى وعن مصالحهم المهنية . وأطلقوا على هذه الجمعية اسم « نادي دوميية » تكريماً للفنان دومييه الذي شرف مهنتهم بأن وضع موهبته العظيمة في خدمة أنبل القضايا . والجمعية تفتح صدرها لجميع الزملاء الموهوبين في العالم والذين يحترمون في انتاجهم المثل الاعلى الذي انشىء على اساسه ، نادي دومييه . وقـد وقع الوثيقة الاولى المؤسسون وهم من البلدان الآتية : فرنسا ، الدانمرك ، الاتحـــاد السوفييتي ، انكلترا ، الصين الشعبية ، بولونيا ، ايطاليا ، بلغاريا ، رومانيا ، وتشيكوسلوفاكيا .

● صدر حديثاً في فرنسا عدد ممتاز من مجلة « اوروبا » وهو مخصص لشاعر بولونيا الاكبر آدم ميسكييفيتش كما يضم مختارات من قصائده .

● صدر حديثاً باللغة الفرنسيه ديوان جديد للشاعر التركي العالمي ناظم حكمت وقد ترجمه شارل دوبزنسكي تحت عنوان : « مهنة شاقة هو المنفى » (كما صدرت روايتان للكاتب التركي التقدمي سعاد درويش بعنوان « أشباح يالي » و « سجين أنقرة » .